الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة محمد بوضياف – المسيلة –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسـم التاريخ

الرقم التسلسلي : ...../ 2020

رقم التسجيل: .....

عبد الكريم الفكون وقضايا عصره

(1580-1662م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص : تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبتين :

- عمر نادية
- بن هنية خديجة

إشراف الدكتور :

خليفي عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الصفة	الجامعة الأصلية
أ. د. محمد يعيش	رئيسًا	جامعة محمد بوضياف المسيلة
د.عبد القادر خليفي	مشرفا	جامعة محمد بوضياف المسيلة
أ. أمال معوشي	ممتحنا	جامعة محمد بوضياف المسيلة

السنة الجامعية :2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وامتنان

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العلم، وجعلنا من الذين يسيرون على دربه، إذ وفقنا في إنجاز هذه المساهمة التاريخية، التي نأمل أن تكون شمعة من شموع المعرفة تضيء درب أي طالب لها، ولو بجزء يسير.

لا يسعنا في هذا المقام، سوى إسداء جزيل الشكر والتقدير والاحترام، للأستاذ المشرف الدكتور" عبد القادر خليفي " على نصائحه القيّمة، وتوجيهاته السديدة، وعلى استعداده الدائم لتقديم المساعدة والمشورة، وعلى كل ما بذله لتنقيح وتصويب هذا العمل، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

كما نشكر جميع الأساتذة الأفاضل، الذين أشرفوا على تكويننا، ومرافقتنا طيلة المشوار الدراسي، منذ انتسابنا إلى كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

والشكر موصول أيضا لكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

إهداء

بدأنا بأكثر من يد، وقاسينا أكثر من هم، وعانينا الكثير من الصعوبات و ها نحن اليوم و الحمد لله، نطوي سهر الليالي و تعب الأيام و نضع خلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع.

إلى منارة العلم و الإمام المصطفى، إلى الأمين الذي علّم المتعلمين إلى سيد الخلق، إلى رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من سعوا و شقوا لننعما بالراحة و الهناء، الذين لم يبخلوا بشيء من أجل دفعنا في طريق النجاح، الذين علمونا أن نرتقي سلم الحياة بحكمة و صبر، إلى والدينا العزيزين .

إلى من حبهم يجري في عروقنا، ويلهج بذكراهم فؤادينا، إلى إخوتنا و أخواتنا، إلى من سرنا سويا و نحن نشق الطريق معًا نحو النجاح و الإبداع، إلى من تكاتفنا يدًا بيد، إلى صديقاتنا وزميلاتنا .

إلى من علمونا حروفًا من ذهب، وكلمات من درر، وغرسوا فينا حب المعرفة والعلم، إلى أساتذتنا الكرام.

قائمة المختصرات الواردة في البحث

تح	تحقيق
تع	تعليق
تق	تقديم
تر	ترجمة
ج	جزء
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري
مج	مجلد
ص	صفحة
ع	عدد

مقدمة

مقدمة

لا شك أن التحولات المتنوعة التي شهدتها الجزائر، حينما دخلت تحت المظلة العثمانية بداية من مطلع القرن السادس عشر الميلادي، والتي مست النواحي السياسية والاقتصادية، وأثّرت على الحركة الثقافية والحياة الاجتماعية، قد صبغت البلاد بطابع متميز، سواء أتعلق الأمر بالمكانة التي اكتسبتها على صعيد موازين القوى والعلاقات في البحر الأبيض المتوسط، أم ما خصّ طبيعة الحياة والأنشطة الاقتصادية الداخلية، والتفاعلات بين القبائل والسلطة المركزية،وملامح ومحددات التواصل بين مجتمعي الريف والمدينة، والمؤثرات التي وسمته.

ولعل قسنطينة باعتبارها عاصمة لإقليم الشرق، بما يزخر به من مقومات، وما يحظى به من مكانة، قد حجزت موقعا مهما في تطور الجزائر العثمانية، فقد كانت موطنا للحركات الفكرية، ومقصدا للعلماء من كل اتجاه،وعرفت بروز عائلات مرموقة، اشتهرت بمكانتها الدينية والعلمية، وبأدوارها الاجتماعية على مدار قرون، حيث أسهم تنافسها في خلق ديناميكية حقيقيةبالمنطقة، مما كان له انعكاس واضح على المستويات الثقافية والاجتماعية، وأيضا على نوعية الروابط التي جمعتها بنظام الحكم.

ومن هنا، تأتي هذه المحاولة البحثية، لاستكشاف أحد أقطاب تلك العائلات، العالم والمصلح عبد الكريم الفكون، الذي ترك بصمات قوية خلال القرن السابع عشر الميلادي، حيث مثلت كتاباته ،نموذجا للفكر النقدي،والإصلاح الاجتماعي، والثورة على الوضع القائم، في عصر حمل بقوة ملامح التأخر والانحطاط.

دوافع اختيار الموضوع:

* الرغبة في دراسة هذه الشخصية المتميزة، ومعرفة مختلف المؤثرات التي أسهمت في تكوينها.

* تلمس طبيعة القضايا الاجتماعية والسياسية التي عاصرها، وإظهار مواقفه منها.

* إبراز الروح النقدية، وطابع التجديد الفكري الذي وسم أطروحاته.

* توجيه الأستاذ المشرف، وتشجيعه القوي للخوض في هذا الموضوع.

إشكالية البحث:

تثير التجربة المتميزة لعبد الكريم الفكون، في علاقته بالسلطة العثمانية، ومعالجته لقضايا عصره ونوازله، بروح مغايرة لما هو مألوف، تساؤلات مهمة عن مسألتي التطور والجمود، والولاء والقطيعة وهي العناصر التي حددت مكانة العائلات النافذة في قسنطينة،ولخصت أدوارها.

ومن هنا نطرح جملة من التساؤلات:

- ما هي الملامح العامة لعصر الفكون؟
- فيم تتمثل المؤثرات المتنوعة التي صقلت شخصيته؟
- كيف كانت علاقته بالسلطة العثمانية؟
- ما هي الأدوار التي لعبتها على المستوى الاجتماعي؟
- إلى أي مدى يمكن اعتبار الأفكار والمواقف التي عرضها نقدية وتجديدية؟

منهج الدراسة:

لقد وظّفنا في هذه الدراسة مناهج متنوعة، حيث اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي في عرض الوقائع والأحداث، مراعين تسلسلها الزمني، وربطها ببعضها البعض،واستخدمنا المنهج التحليلي في تقديم تفسيرات، وقراءات للمواقف، وإبراز منطلقاتها وخلفياتها، وكان للمنهج المقارن حضوره أيضا فيما يتعلق بمقاربة مواقف عبد الكريم الفكون بمعاصريه، واستخلاص مواطن التجديد والتفرد.

وصف لأهم المصادر والمراجع:

تنوعت المادة العلمية التي اعتمدنا عليها في انجاز هذا العمل، فقد رافقتنا عدة مصادر، تتعلق ببعض انتاجات المترجم له، وكتابات معاصريه، كما وقع الاتكاء على العديد من المراجع، من مؤلفات ودراسات أكاديمية، ممثلة في مقالات، ومذكرات، وأطروحات جامعية، وفي هذا الإطار، يمكننا الإشارة إلى أهمها إفادة لموضوعنا.

- كتاب " منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية "، لصاحبه عبد الكريم الفكون ويعد أفضل مؤلفاته على الإطلاق، وقد تضمن أخبارا متنوعة وعميقة عن العصر وأهله، ومن ثمة فهو مرآة عاكسة لتطور المجتمع، وتفاعلاته.
- كتاب " فريدة منسية في حال وصول الترك إلى بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها " لصاحبه محمد الصالح بن العنتري، وقد تولى تحقيقه المؤرخ يحي بوعزيز، وبالرغم من محتواه الموجز، وتطرقه إلى فترة قصيرة من زمن الفكون، إلا أنه يكتسي أهمية لمعرفة أخبار العصر فقد تحدث فيه عن الأوضاع العامة ببايلك الشرق، وكيفية دخول العثمانيين إلى المنطقة.

-أما فيما يتعلق بالمراجع، فقد كان أبرزها:

- كتابي " تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 "، و" شيخ الإسلام داعية السلفية عبد الكريم الفكون " حيث تضمنا معلومات غزيرة، وتحاليل ضافية عن المترجم له، ومميزات عصره، وقد استفدنا منه بشكل كبير.
- أطروحة دكتوراه بعنوان: " البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني و دورها الثقافي والسياسي "، للباحثة فوزية لزغم، ومذكرة ماجستير بعنوان:" عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته و آثاره 1580- 1663م "، للباحث حسين بوخلوة، وقد رافقنا العملان في بناء الخطة، وفي التعاطي مع القضايا المعالجة.

الصعوبات المعترضة:

في الواقع، فقد واجهتنا في إعداد هذا العمل المتواضع، جملة من الصعوبات، يمكننا اختصارها على النحو الآتي:

- عدم التمكن من الاطلاع على معظم مؤلفات الفكون، بسبب بقاء بعضها مخطوطا، وخلو المكتبات المحلية من تلك المنشورة.
- الأوضاع الصحية والنفسية التي مررنا بها خلال الفترة الممتدة بين شهري مارس وسبتمبر 2020م، والمرتبطة بانتشار فيروس كورونا (كوفيد 19) ببلادنا، على غرار كل دول العالم مما أدى إلى تعطيل الدراسة لفترة طويلة، وما رافق ذلك من غلق للمكتبات الجامعية والعمومية وتوقيف حركة التنقل بين الجهات، مما حال دون الحصول على المادة العلمية الكافية.

محدودية تجربتنا العلمية، في معالجة مثل هذه المواضيع المتخصصة.

خطة البحث:

للإجابة عن التساؤلات المطروحة، قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة، وثلاثة فصول،وخاتمة، حيث تناولنا في الفصل الأول، الذي جاء بعنوان:" قسنطينة عصر الفكون"،مختلف التحولات السياسية التي شهدها إقليم الشرق، بعد أن أصبح بايلكا عثمانيا، وعرضنا للأوضاع الاقتصادية، وطابع العلاقات الاجتماعية الذي ميز المرحلة،وقد كان للواقع الثقافي وخصائصه نصيبا من هذا الاستكشاف.

وتطرقنا في الفصل الثاني الموسوم: الفكون: الإنسان والعالم، إلى حياة الرجل،حيث بسطنا الكلام عن مولده وبيئته، وحاولنا إبراز المؤثرات المختلفة التي أسهمت في تكوين شخصيته، وطبعت انتاجه الفكري، معرجين على التواصل العلمي والاخواني،الذي ميّز علاقات هذا العالم بمعاصريه.

وتمحور الفصل الثالث حول: مواقفه من قضايا عصره، حيث رصدنا فيه نماذج من القضايا الاجتماعية والأحداث السياسية التي تفاعل معها، وكانت له مواقف وآراء بشأنها، على غرار ظاهرة التصوف والطرقية، وما حفلت به من انحرافات، وبعض الثورات التي انتفضت ضد الإدارة المجحفة أو حملت نزعة قبلية متصارعة، علاوة على إدراج عينات من القضايا التي عاشها المجتمع.

وأنهينا دراستنا بخاتمة، رصدنا فيها أهم النتائج التي استخلصناها ، و وضعنا فهرسا للموضوعات.

وفي الأخير، نأمل أن تكون هذه المذكرة التي أنجزت في ظروف استثنائية، والتي حاولنا من خلالها إماطة اللثام عن شخصية هامة، كان لها حضورها الديني،والفكري ،والاجتماعي بالشرق الجزائري زمن الوجود العثماني، خطوة علمية متواضعة، وإسهاما

تاريخيا مقبولا، يضاف إلى رصيد المكتبة التاريخية الوطنية، بما يلقي أضواء جديدة على الواقع الجزائري، خلال فترة هامة من التاريخ الحديث.

الفصل الأول:

قسنطينة عصر الفكون

المبحث الأول :الأوضاع السياسية

المبحث الثاني : البيئة الاجتماعية

المبحث الثالث : الواقع الثقافي

الفصل الأول : قسنطينة عصر الفكون

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

أولا – موقع قسنطينة وأهميته

يعتبر الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة من أهم المواقع الاستراتيجية، فهي تتوسط شرق الإقليم الجزائري مما أكسبها مكانة هامة وإقليما متميزا [1]، تقع قسنطينة فلكيا على خط عرض 23 و 36 شمالا، وخط طول 35 و 7 شرقا، وترتفع بـ621 م إلى 740 م عن سطح البحر[2].

يمتد بايلك الشرق من البحر شمالا، إلى ما وراء بسكرة وواد سوف جنوبا[3] ومن الحدود التونسية عند طبرقة على ساحل البحر المتوسط شرقا،إلى جبال البيبان غربا وهي التي تفصله عن بايلك التيطري[4].

يتميز هذا البايلك طوبوغرافيا بطابعه الجبلي على العموم، تلتقي في وسطه سلسلتا جبال الأطلس الشمالية التلية والجنوبية الصحراوية عند كتلة جبال الأوراس ويضم حوض وادي الصومام، والسهول العليا القسنطينية، التي تمثل الجزء الشرقي من إقليم الهضاب العليا الجزائرية، وتسود في القسم الشمالي من هذا الإقليم نسبة متوسطة من الرطوبة في

---

[1] يمينة سعودي، الحياة الأدبية في مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير في الأدب,قسم اللغة العربية جامعة منتوري، قسنطينة، 2005–2006، ص9.

[2] محمد عثمان، مدينة قسنطينة ملكة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة، ط1، دار المصرية للكتاب، القاهرة 2013، ص8.

[3] محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تق و تع، يحي بوعزيز – طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص17.

[4] عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص207.

الشتاء لارتفاعه وقربه من البحر الأبيض المتوسط، أما القسم الجنوبي الصحراوي، فيمتاز بالجفاف حيث يعتمد على المياه الجوفية كثيرا.[1]

يعد الرحالة البكري (ت 480هـ/1087م) من الذين قدموا وصفا دقيقا لمدينة قسنطينة، حيث يقول : " وهي مدينة أولية كبيرة آهلة، ذات حصانة ومنعة، ليس يعرف أحصن منها، وهي على ثلاثة أنهار عظام، تجري فيها السفن، قد أحاطت بها، تخرج منها عيون تعرف بعيون "أشقار" ،وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر، متناهي البعد قد عقد في أسفله قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا، ثم فوقهن بيت ساوى حافتى الخندق يعبر عليه إلى المدينة، ويظهر الماء في قعر هذا الوادي من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه وبعده، ويسمى هذا البيت "العبور" لأنه معلق في الهواء "[2].

وقدم حسن الوزان (888 هـ - 937 هـ/ 1483م - 1590م) تفاصيل مهمة فيما يخص جغرافية المدينة، وذلك في رحلته "وصف إفريقا" فيقول : "...وهي واقعة على جبل شاهق، ومحاطة من جهة الجنوب بصخور عالية...وفي الجانب الشمالي للمدينة أسوار في غاية القوة، بالإضافة إلى أنها تقع في أعلى قمة جبل، بحيث أن الصعود إلى قسنطينة، لا يمكن إلا من طريقين صغيرين ضيقين، أحدهما إلى جهة الشرق والآخر إلى جهة الغرب، وأبواب المدينة الجميلة كبيرة مصفحة تصفيحا جيدا بالحديد..."[3].

[1] محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص17

[2] عبد القادر دحدوح، تاريخ وأثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2015، ص17.

[3] حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ط2، تر، محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983، ص56.

ثانيا– قسنطينة تحت الحكم التركي

لا يوجد اتفاق بين المصادر المحلية والدراسات الأجنبية حول تحديد دقيق لتاريخ دخول قسنطينة تحت المظلة العثمانية، واستقرار الأتراك بها، فإن ابن العطار يتحدث عن حالة التردد في التعاطي مع هذا الواقع المستجد، حيث كتب في هذا الإطار[1] : " فهذه المدينة...نجدها تتسم بشيء من التحفظ والتباطؤ في قبول الدخول تحت الإيالة العثمانية التركية المتصدية للثورة الصليبية الإسبانية الشرسة، وقد تعددت روايات المؤرخين الثقات في دخول مدينة قسنطينة، في طاعة العثمانيين الأتراك فبعضهم كالأنبيري يحدده سنة 1529م، أي في عهد خير الدين باشا"، بينما أرجعه ابن أبي دينار مؤرخ الدولة الحفصية، إلى ما بعد زوال الحكم الحفصي بتونس، بما يناهز عقدا من الزمن،أي في حدود عام 1546م، وذهب العنتري، إلى أن ذلك قد حصل عام 1600، وهو الاستقرار الفعلي، ذلك أن الوجود العثماني بقسنطينة، لم يكن قبل هذه الفترة إلا رمزيا وغير مستقر،لما تخلله من إضطرابات و ثورات داخل المدينة وخارجها، كما أن الحامية العثمانية،كانت مستقرة بسطح المنصورة خارج المدينة، ولم يكن يسمح لها بالدخول[2].

ففي مطلع القرن 16م ذاعت أصداء الإخوة بربروس في الحوض الغربي المتوسط في إطار مساعدة البحارة العثمانيين لمسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة حيت استقر بهم المقام في تونس متخذين مدينة جربة قاعدة لهم، فبذلك اصبح للإخوة قاعدة بحرية وضمنوا لأنفسهم موقعا إستراتيجيا حيث حصلوا على موقع قريب من طرق الملاحة التي كانت تعبر بجزيرة صقلية ونجحوا في تكوين أسطول يضم إثنتا عشر سفينة وألف رجل[3].

---

[1] أحمد بن مبارك بن العطار، تاريخ بلد قسنطينة (1790 – 1870)، تح و تع و تق، عبد الله حمادي دار الفائزة للطباعة والنشر، قسنطينة، 2011، ص48.

[2] جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن (10هـ/16م إلى 13هـ/19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة قسنطينة 2، 2015، ص113.

[3] عائشة غطاس، المرجع السابق، ص19

وفي عام 1512م، أي بعد مرور سنتين من إحتلال مدينة بجاية شكل علماء وأعيان بجاية وفدا لمقابلة عروج ليطلبوا منه إنقاذ المدينة ومساعدة الأمير عبد الرحمان على استرجاعها وعلى إثر ذلك لبى الإخوة النداء وساروا على رأس جيش صغير لمحاصرة المدينة، وبعد حصار قصير ارغم الإخوة على التراجع والعودة إلى تنس وكانت من نتائج هذه المحاولة أليمة بالنسبة لعروج الذي فقد أثنائها ذراعه[1] .

ففي ربيع عام 1514م قام الأخوان خيرالدين وعروج بتعاون فيما بينهما وانتزعوا جيجل من الجنوبين الإيطاليين، ونقلوا قاعدتهم البحرية من حلق الوادي إلى جيجل بعد تعرضهم إلى مضايقات من الأمير الحفصي بتونس، وهناك استنجد بهم سكان مدينة الجزائر عام 1516م، فلبوا الرغبة وإتجهوا إليهم بقواتهم البرية والبحرية وقضوا على المعارضين وتمركزوا بها، ثم توجه عروج إلى تنس لمعاقبة الأمير الزياني الذي تعاون مع الإسبان، ومن ثم أخذ طريقه إلى تلمسان لنجدة سكانهم عام 1517م[2]، لكن الإسبان تمكنوا من قتل أخيه اسحاق في قلعة بني راشد وقتله هو أيضا بعد أن غدره سكان تلمسان وذلك عام 1518م[3].

بعد مقتل عروج وجد خيرالدين نفسه في موقف حرج للغاية، فقد أدرك في الحال ضعف موقفه السياسي ومركزه الحربي، فالأعداء يحيطون به من كل جانب، فلم يكن أول الأمر يتمتع بشعبية واسعة كشعبية أخيه، ولم تكن له علاقات برؤساء القبائل فضلا على أنه واجه نقص في السلاح والعتاد.

---

[1] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، دار هومة، الجزائر، 2012، ص44

[2] وليم سبنسر,الجزائر في عهد رياس البحر, تع وتق, عبد القادر زبادية ,دار القصبة ,الجزائر,2006, ص43

[3] عزيز سامح التر, الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية, تر, محمود علي عامر, ط1 دار النهضة العربية ,بيروت,1989 ,ص 66.

فالوضع الصعب الذي أصبح عليه خير الدين، دفع به إلى التطلع صوب الشرق ففي هذه الأثناء، كانت الإمبراطورية العثمانية في أوج توسعاتها، وقد نجح في كسب تأييد سكان الجزائر، مما مكّنه من إلحاقها بالخلافة العثمانية[1]، وقد تم ذلك بعد أن وجّه أعيان مدينة الجزائر رسالة إلى السلطان سليم الأول، يناشدونه فيها الحماية والانضمام إلى الدولة العثمانية، فلقي طلبهم الموافقة، ومنح خيرالدين رتبة بايلرباي[2].

فبعد تعيينه بايلربايا على الجزائر عام 1518م، تمكن من ضم المدن الساحلية وتوجه إلى قسنطينة وتوغل فيها، ووضع عليها حامية تتكون من 600 جندي تحت قيادة قائد العسكر يوسف باشا، وهذا بمثابة تمهيد للحكم المباشر، وحثه على تحسين العلاقة مع سكانها، فكان أن تقرّب من عائلة الفكون، ثم عاد إلى الجزائر العاصمة عام 1525م،وحرر قلعة البنيون عام 1529م، وهزم حملة أندري دوريا الجنوي في شرشال عام 1531م، ثم توجه نحو تونس، حيث تمكن من دخولها عام 1534م.[3]

ولما تولى حسن بن خيرالدين منصب البايلرباي، قام بتقسيم البلاد إلى أربع مقاطعات دار السلطان، وقاعدتها العاصمة، التيطري وعاصمته المدية، بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة، بايلك الغرب، وعاصمته مازونة[4].

إن منح حسن باشا إقليم قسنطينة إدارة خاصة (بايلك)، لم يرض أعيان قسنطينة فلما وقعت مناوشات بين أحد الأعيان وجندي الإنكشاري، تدخل أشخاص آخرين وعمت

[1] عبد المنعم إبراهيم الجميعي, الدولة العثمانية والمغرب العربي, دار الفكر العربي, القاهرة,2007, ص5

[2] عائشة غطاس, المرجع السابق, ص24

[3] محمد الصالح بن العنتري, المرجع السابق, ص27

[4] نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من أقد العصور إلى إنتهاء العهد التركي، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2006، ص104.

الفوضى واندلعت المواجهات بين الطرفين، فأرسلت الجزار محمد أعنا بن صالح رايس الذي أعاد الهدوء للمدينة[1].

وفي سنة 1567م، عين رمضان تشولاق بايا على قسنطينة (1567-1574م) وقد تقرر تكوين وفد إلى الجزائر، حيث ضم الشيخ عبد الكريم الفكون الجد والمفتي عبد اللطيف المسبح [2]، وعدد من الأعيان، فلما انصرفوا إلى مهمتهم، خلع القسنطينيون البيعة، وصادفهم خبر ذلك بعد استقرارهم بدار السلطان، وبعد أن استقبلوا بترحيب،وفرح بهم الأمير فرحا كبيرا، وأحلهم دار الكرامة، وأنزلهم منزلة قربى فاجأتهم الأخبار بما أحدثه أهل البلدة بعدهم، من نهب للدور، وخلع البيعة، ففروا من دار السلطان، قاصدين منطقة زواوة، فبعث في أثرهم فسجنهم، ثم تبصر فلم ير لهم وجها يوجب ذلك، فأطلق سبيلهم بعد اعتذار منهم عن فرارهم المذكور[3].

بعد إزاحة رمضان تشولاق، عين مكانه جعفر باي (1574-1588م) باستمالة العائلات النافذة في البايلك، وهي ذات الإستراتيجية التي انتهجها خليفته محمد بن فرحات باي (1588-1608م)، حيث يمكننا أن نطلق على فترة حكمه اسم الحكم المحلي، لأنه كان من سكان قسنطينة،إلا أن عهده عرف عدة اضطرابات، كان أهمها تهديد المقرانيين وابن القاضي، اللذان تحالفا، ووصل تهديدهما إلى مشارف مدينة الجزائر.

---

[1] حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكون القنسطيني حياته وآثاره (988هـ -1078/1580-1663م) مذكرة ماجيستر في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة السانية، وهران، 2008-2009، ص52.

[2] هو أبو محمد بن عبد اللطيف المسبح المرداسي، فقيه، فرضي، تولى الإفتاء بقسنطينة، وكان مرجوعا إليه في وثائق أهلها، توفي بقسنطينة، له شرح على مختصر الأخضري في العبادات على مذهب مالك، وشرح على الدرة البيضاء في علمي الفرائض و الحساب للأخضري أيضا، للمزيد ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ج2، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، ص218.

[3] عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تق، أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1987، ص48.

ولم يقتصر الخطر على الداخل، بل تعداه إلى الخارج، حيث تعرضت مدينة عنابة لحملة عسكرية عام 1607م من طرف دوق كونتابل بيكوليميني، وكان من نتائجها استشهاد الباي محمد فرحات[1].

وعموما لقد توالى على قسنطينة عشر بايات خلال القرن 17م، وقد تميزت تلك المرحلة بالآتي :

- إرغام التونسيين عسكريا على إبرام اتفاقية لضبط حدود عام 1628م.

- عرف بايلك في النصف الأول من القرن 17م اندلاع ثورات كان أخطرها ثورة أحمد بن الصخري عام 1637م، التي شملت كل أرجاء الإقليم، وقد أدت إلى انتشار الفوضى وانعدام الأمن، كما أعقبتها ثورة أولاد عبد المؤمن عام 1642م.

- تميز النصف الثاني من القرن 17م، بشيوع حالة الأمن والاستقرار، بفضل التحالف بين عائلة الفكون والسلطة العثمانية[2] .

المبحث الثاني: البيئة الاجتماعية

لقد أثرت الأوضاع السياسية والاقتصادية التي عرفها الإقليم القسنطيني الأثر البالغ على الحياة الاجتماعية في البايلك، فالخروج من دائرة الحكم الحفصي والدخول تحت الحكم العثماني، وما صاحبه من فوضى واضطرابات في البداية، والاستقرار في الأوضاع فيما بعد لصالح العثمانيين، كل تلك الأوضاع ساهمت في تحول المجتمع القسنطيني،وثراء في تركيبته، منخلال إضافة عناصر جديدة وبروز عناصر أخرى[3].

[1] محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص33

[2] الدراجي بلخوص، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل الفكون خلال القرنين 16و17، مذكرة ماجستير في تاريخ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2012-2013، ص14.

[3] الدراجي بلخوص، المرجع السابق، ص24.

أولا : فئات مجتمع بايلك قسنطينة

كان سكان البايلك خليطا من العرب والقبائل والشاوية، تربط بينهم العقيدة الدينية والعادات والتقاليد والمصير المشترك[1]، كما تدعموا بفئات أخرى من الترك واليهود وقد انقسموا إلى : [2]

القبائل: ويعتبرون السكان الأصليين للبلاد، ولهم ميزات خاصة عن باقي الفئات تتعلق باللغة والعادات والتقاليد، وأيضا أسلوب المعيشة، وكانوا يعرفون العديد من الصناعات كصناعة النحاس، والحديد، والأسلحة والبارود، ومارسوا حياكة الأغطية والألبسة بالإضافة إلى اشتغالهم بالفلاحة[3].

العرب: وهم بدو يسكنون الخيم، وتتألف كل ثرواتهم من قطعان المواشي، فهم لا يفلحون الأرض، إلا بقدر ما تضطرهم الحاجة الماسة إلى الأقوات، كما أنهم غير مرتبطين بها،ما داموا غير مالكين لها، وهذا ما جعلهم لا يغيرون شيئا من عاداتهم[4].

الأتراك: لقد شكلت هذه الفئة الطبقة السياسية، وعلى الرغم من قلة عددها، إلا أنها امتازت بالقوة والنفوذ الواسع، وكانت تحتكر المناصب الحكومية، ومارست سياسة عزل السكان الأصليين للبلاد، وإبعادهم عن المنافسة على السلطة[5].

---

[1]محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص19.

[2]فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، تر و تق، أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر 2007، ص79.

[3]السعدية قمرة، الأسرة النافذة ودورها الثقافي والإجتماعي ببايلك قسنطينة الشرق الجزائري في العهد العثماني (1518-1830م)"أسرتي الفكون والمقراني نموذجا"، مذكرة ماستر في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018، ص25.

[4]ناصرالدين سعيدوني، مذكرة حول إقليم قسنطينة، مجلة الأصالة، ع70-71، وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، الجزائر، 1979، ص14.

[5]عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997 ص73.

الكراغلة: وهي طبقة من أبناء الأتراك، الذين ولدوا في الجزائر من أمهات جزائريات

وهي في نظر هؤلاء الأتراك نتاج اجتماعي أدنى مرتبة منهم، فأطلقوا عليهم أبناء العبيد أو الكراغلة[2] .[1]

اليهود: تمثل جماعة اليهود الفئة النشطة التي ارتفع شأنها، فقد كانت لها تعاملات مباشرة مع ممثلي السلطة التركية من القاعدة إلى قمة الهرم، حيث تخصصوا في أعمال البيع والشراء، كما اشتهروا بعمليات السمسرة، والقيام بدور الواسطة في كل العمليات التجارية[3].

ثانيا : **العادات والتقاليد**

كانت العادات والتقاليد والأعراف منتشرة بين سكان لإقليم قسنطينة نذكر منها :

طريقة الإعلان عن الأعياد الإسلامية ومن بينها، الاحتفال بدخول رمضان أو عيد الفطر، ففي هذا الصدد، نذكر أن القبيلة التي ترى هلال رمضان أو شوال تقوم بإشعال النيران على رؤوس الجبال لتخبر القبائل الأخرى، وهذه الطريقة هي إحدى أهم وسائل الاتصال بين القبائل[4].

فعندما يحل شهر رمضان، يستقبله الناس بالفرح والسرور، ويتم الاستعداد له قبلا، حيث تبدأ النسوة بطحن القمح والشعير، وتحضير الكسكسي، ويتم ذبح الأغنام والدواجن

[1] عبد العزيز فيلالي، مجمل تاريخ قسنطينة السياسي والعمراني والثقافي والاقتصادي، دار الهدى، عين ميلة الجزائر 2007، ص213.

[2] خليفي هلايلي، أوراق في التاريخ الجزائري في العهد العثماني، دار الهدك، الجزائر، 2008، ص166.

[3] عمار بوحوش، المرجع السابق، ص75.

[4] دراجي بلخوص، المرجع السابق، ص76.

كل حسب طاقته، وتتغير بشكل ملحوظ الكثير من العادات، فيزداد إقبال الرجال على المساجد، وتلاوة القرآن، ومن أهم لياليه، ليلة القدر.[1]

بعد شهر رمضان يأتي عيد الفطر، فتعم الفرحة، ويقبّل الحضر والفلاحون أصدقاء وغرباء بعضهم بعضا، ويتبادلون التهاني[2]، ويدوم العيد ثلاثة أيام، يرتدي فيه الناس ما لديهم من أبهى الألبسة[3]، وبعد مدة شهرين وعشرة أيام، يأتي عيد آخر، وهو عيد الأضحى، حيث يحتفل به بذبح خروف لكل فرد ذكر، ويؤكل اللحم مدة ثلاثة أيام بأكملها[4]، أما عن المولد النبوي الشريف، فكان الاحتفال قيه مميزا، حيث تحضر مختلف الأطباق والمأكولات، كما تضاء الشموع[5].

ومن العادات والتقاليد التي كانت موجودة في إقليم قسنطينة، ظاهرة رفع صداق البنت، وخاصة ذات الحسن والجمال، وهذا مقارنة بقريناتها.

كما ساد انتشار ظاهرة المغالاة في تجهيز البنت بمختلف الضروريات والكماليات وهذه العادة نجدها منتشرة بين سكان المدن أكثر منها بين سكان البادية، وعموما كانت ظاهرة الترف موجودة بكثرة في المجتمع القسنطيني[6].

---

[1] السعدية قمرة، المرجع السابق، ص28.

[2] فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص86.

[3] دودوأبوالعيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1975 ص70.

[4] إيمان جبيري ومريم بوباسي، واقع الحياة الإجتماعية في بايلك الشرق في ظل حكومة الداي حسين، مذكرة ماستر في التاريخ، قسم التاريخ والآثار، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2015-2016، ص79.

[5] أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 ص156.

[6] الدراجي بلخوص، المرجع السابق، ص77.

ثالثا: الزي ووسائل الزينة

لابد أن تشير إلى بعض الأزياء في إقليم قسنطينة، وخاصة أزياء النساء، فقد كانت نساء بايلك الشرق معروفة بأناقتها، فمن مظاهر لباس المرأة الملفت هو ارتداء الملاية في تنقلاتها خارج البيت، وأيضا لبس الحايك الذي يصنع من الصوف والحرير[1]، أما فيما يخص الوسائل التي تتزين بها المرأة، فتتمثل في مختلف الحلي كالخلخال المصنوع من الذهب، والذي تضعه النسوة في أقدامهن [2]، وتعتبر الحلي من اللواحق الضرورية لجمال المرأة، خاصة أثناء الحفلات والأعراس.

أما اللباس التقليدي للرجال، فنجد على رأس القائمة، ثوبا عريضا يدعى برنوسا وإلى جانب ذلك يرتدي الرجال غالبا سروالا يكون فضفاضا، يلبس مع القندورة والبرنوس، أما لباس الأقدام فهو البلغة.[3]

رابعا- بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في قسنطينة

كان مجتمع قسنطينة مجتمعا حضاريا متماسكا، وللعائلات الكبرى دورا فعالا ونافذا،فهي التي تنظم العلاقات العامة، وتضع شروط المعاملات،وتعين مشيخة المدينة،بالإضافة إلى أنها تسهر على توفير الأمن بها، وتنشيط الحياة الاقتصادية، ومن أبرز هذه العائلات نذكر: أسرة بن عبد المؤمن، وآل الفكون.

معظم العائلات كانت تعيش على التجارة والزراعة والعلم، لأن قيمة العائلة تكمن في تراثها العلمي وتنشئة أبنائها عليه من حفظ القرآن الكريم إلى تولية القضاء والفتوى وغيرها

[1] إيمان جبيري ومريم بوباسي، المرجع السابق، ص76.

[2] الدراجي بلخوص، المرجع السابق، ص78.

[3] إيمان جبيري ومريم بوباسي، المرجع السابق، ص76.

من الوظائف[1].

أما فيما يخص الحالة الصحية، فقد تعرض البايلك إلى الكثير من الأوبئة والمجاعات مما أدى إلى ارتفاع الأسعار، بسبب قلة المحاصيل في فترات الجفاف، وسنوات القحط ومن أهم تلك المجاعات والأوبئة نذكر:

- طاعون 1622م، كان من بين ضحاياه، باي قسنطينة حسن.

- طاعون 1643م، الذي أودى بحياة ثلاثة علماء كبار وهم : بركات بن نعمون، عبد اللطيف المسبح، وبركات بن عبد المؤمن.

- طاعون 1644م، وقد قضى على ثلاثمائة شخص في يوم واحد.

بالإضافة إلى جفاف عام 1647م، الذي ضرب كل المقاطعة، وخلّف وراءة مجاعة كبيرة.[2]

فالأحوال الاجتماعية لم تكن على أحسن ما يرام، فقد انتشرت اللصوصية، وغاب الأمن،وساد الظلم السياسي، واستحكم التصوف بشكل مريع، كما شاعت البدع والخرافات[3].

المبحث الثالث: الواقع الثقافي

لقد تمركزت حركة الثقافة في الجزائر قبل دخول العثمانيين في ثلاث حواضر وهي مدينة تلمسان بغرب البلاد، ومدينة بجاية في الوسط، وقسنطينة في الشرق وكانت هذه

[1]أبوقاسم سعد الله، شيخ الإسلام الكريم فكون الداعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص16.

[2]حسين بوخلوة، المرجع السابق، ص35.

[3]لطيفة فار ونور الهدى ولابي، الشيخ عبد الكريم الفكون ودوره في الحركة العلمية (988-1073هـ/1580-1663م)، مذكرة ماستر في التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، 2016-2017 ص7.

الحواضر تعد بحق مراكز الثقافة والتعليم، فقد ازدهرت فيها العلوم والآداب والفنون، كما اشتهرت بها أسر علمية، توارثت العلم والمعرفة.

وخلال العهد العثماني لم يحظ الجانب الثقافي باهتمام الأتراك، فقد اعتمدت الثقافة العربية الإسلامية في تطورها على ذاتيتها، انطلاقا من المؤسسات الثقافية، لنشر الدين والتعليم العربي الإسلامي.

أولا: التعليم

كان التعليم منتشرا بصورة واضحة في الجزائر العثمانية، بدليل حضور مدن وحواضر اشعاعية للعلم، كحاضرة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق، حيث أصبحت مركزا من مراكز الإشعاع العلمي والثقافي، وقد نقل ابن ميمون ما أورده المؤرخ بول قافاريل ،حيث ذكر: [1] " كانت قسنطينة في عهد الأتراك...عاصمة دينية وكانت فئة العلماء تتمتع فيها بالسيادة المطلقة، والنفوذ التام، كما أنها كانت غاصة بعدد كبير من الطلبة، يغتفرون من خمس وعشرين مدرسة للعلوم الدنيوية والأخروية...إن قسنطينة كانت حقا مبعث نور الجزائر، كما كانت تشرّف العلماء، وتقدرهم حق قدرهم ".

يقوم التعليم على جهود الأفراد أو المؤسسات الخيرية، ولم يخرج عن علوم الدين واللغة، والاهتمام بالفروع الفقهية على مذهب الإمام مالك، ذلك أن الأتراك كانوا حنفي المذهب، إلا أنهم لم يفرضوه على أحد، بل قاموا بتعيين مفتي مالكي وآخر حنفي وانقسم التعليم إلى ثلاث مستويات[2].

[1] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح، محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص52.

[2] أبوقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ح1، المرجع السابق، ص314.

الابتدائي: حيث يبدأ الأطفال التعليم في سن السادسة من العمر، تحت إشراف معلمين يختارهم سكان القرية، وتدفع أجورهم مما تدره أملاك الأحباس، أو عند أولياء الأمور أنفسهم، ويتم في هذه المرحلة تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن.

الثانوي: وفيه يتلقى الطالب مبادئ الفقه، واللغة، والنحو، والصرف، والحساب.

العالي: وفي هذه المرحلة، يتجه الطلبة، لاسيما المتفوقون منهم إلى المساجد الكبيرة والجامعات العربية لإكمال تعليمهم، على غرار الأزهر بمصر، والزيتونة بتونس.[1]

ثانيا: المؤسسات التعليمية

كان للمؤسسات التعليمية دور فعال في النشاط الثقافي بمدينة قسنطينة، فقد حظيت برعاية بعض الحكام، من خلال تشييد المساجد، والمدارس، والزوايا، والكتاتيب، وجلب العلماء للتدريس، وعقد الحلقات، والمجالس العلمية.

1-الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية وجودا في العالم الإسلامي [2]، حيث كان المتعلم يتلقى فيها القراءة والكتابة وحفظ القرآن، وكانت الكتاتيب في العالم تنشأ من قبل الخواص أو تستأجر من قبل المعلمين، وهي مختصة فقط بالتعليم بخلاف المساجد وأطلق على الشخص الذي يباشر بعملية التدريس في الكتاتيب بمؤدب صبيان[3].

[1] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص48.

[2] أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص276.

[3] نفسه، ص322.

وتميز الكتّاب منذ ظهوره ببساطة أثاثه، حيث كان يفرش بالحصير المصنوع من الحلفاء التي يجلس عليها الصبيان، مشكلين حلقة حول المعلم، وكانت وسائل التعليم متمثلة في ألواح مسطحة، وأقلام مصنوعة من القصب، وقطع حجر الصلصال[1].

2-المساجد:

جاء في قوله تعالى : {{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }}[2].

وجاء في قوله أيضا : {{ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ }}[3].

كان المسجد هو ملتقى العباد، ومجمع الأعيان،ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية وهو قلب القرية في الريف، وروح الحي في المدينة، وكان المسجد أيضا الرابطة بين أهل القرية والمدينة، لأنهم يشتركون جميعا في بنائه، كما كانوا جميعا يشتركون في أداء الوظائف فيه[4].

وكان تشييد المساجد عملا فرديا من الدرجة الأولى، فالفتى المحسن هو الذي يقود عملية البناء، والوقف عليه وصيانته، ولكن أعيان القرية أو الحي يساهمون بالتبرعات ونحوها،ولا يتعدى مجهود السلطات الحاكمة في هذا المجال مجهود الأفراد، فالدولة لم تكن مسؤولة عن بناء المساجد، وإذا بنى أحد الباشوات مسجدا، فإنما يبنيه من ماله

[1] نصيرة بوجلال، البيوتات العلمية في قسنطينة ما بين القرنين 7 و 10هـ/ 13 و 16م، مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، 2016-2017، ص58.

[2] سورة الأعراف، الآية 31.

[3] سورة التوبة، الآية 18.

[4] أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص296.

الخاص،ويوقف عليه من ريعه وأملاكه، فهو بذلك، يعبر عن إحسانه وحبه للخير وواجبه الديني، وليس عن واجبه السياسي[1].

وقد شهدت مدينة قسنطينة تشييد العديد من المساجد نذكر منها: الجامع الكبير الذي يعود تاريخ تأسيسه إلى زمن الموحدين، وهو المسجد المركزي بقسنطينة على عهد الأتراك [2]، يوجد ببطحاء السويقة بشارع بن مهيدي على يمين المتوجه نحو القنطرة القديمة الواصلة بين المدينة ومحطة السكة الحديدية، ويعد أكبر وأجمل جوامع المغرب الإسلامي[3].

3-المدارس:

تعد المدارس من المنشآت الثقافية المستحدثة في العالم الإسلامي[4]، وتتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، وظهر هذا النوع من المؤسسات بعد أتساع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية، وكذلك بعد اكتساب المسلمين العديد من ثقافات وحضارات الشعوب، ودعت هذه الأخيرة بضرورة اقتباس علومها ومعارفها، وقد تنوعت العلوم والمعارف التي تدرس فيها إلى ثلاث أصناف:

- العلوم الدينية: تقو على تحفيظ القرآن الكريم، وتفسير الحديث وتعليم الفقه والتوحيد.

- علوم اللغة وآدابها: كالنحو، والصرف، والبلاغة والعروض، وقواعد الإنشاء.

---

[1] أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق, ص246.

[2] حسين بوخلوة، المرجع السابق، ص46.

[3] فاطمة الزهراء قشي، معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، 19-20، وهران، جانفي، جوان، 2003، ص22.

[4] نصيرة بوجلال، المرجع السابق، ص52

– العلوم الطبيعية والتجريبية: كالفلك، والحساب، والطب، والهندسة.

وعموما، فقد عرفت المدارس انتشارا واسعا في العهد العثماني، حيث لا يكاد يخلو حي منها، وهذا ما أقر به كل من زار الجزائر[1]، ولم تكن قسنطينة لتصنع صورة معاكسة، فقد شهدت عددا كبيرا منها، ويذكر في هذا الصدد الباحث عبد القادر دحدوح أن عددها قد بلغ 97 مدرسة، منها 7 ثانويات، والباقي على شكل كتاتيب[2]، وأن معظمها، كانت تنسب لبيوتات علمية قسنطينية، منها مدرسة ابن الخطيب (عائلة ابن القنفذ)، ومدرسة الفكون.[3]

4–الزوايا:

إن أبرز ما ميز الجزائر في العهد العثماني، هو انتشار ظاهرة التصوف، وكثرة المباني المخصصة لها في المدن والأرياف على حد سواء[4]، وهذا ما أدى بطريقة مباشرة إلى ظهور الزوايا التي أسسها رجال عرفوا بين الناس بالتصوف، فأنشأوا مراكز لاستقبال الزوار والغرباء، وفضاءات لتعليم الطلبة، عرفت هذه المراكز بالزوايا، واحتلت المراتب الأولى من بين المراكز الثقافية، من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء[5].

فالزاوية عبارة عن بناية ذات طابع ديني، يقيم فيها المتصوفة للاعتكاف، والتفرغ إلى العبادة، وتعليم المريدين مختلف العلوم الشرعية النقلية والعقلية، وتحفيظ القرآن الكريم للناشئة، وإيواء وإطعام الفقراء وابن السبيل[6].

---

[1]أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص274

[2]السعدية قمرة، المرجع السابق، ص32.

[3]أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص102.

[4]المرجع نفسه، ص262.

[5]محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص58.

[6]طاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين و 12 و 13 الميلاديين، دار الهدى، الجزائر 2004، ص223.

وقد ضمت مدينة قسنطينة مجموعة من الزوايا، بلغت زهاء 16 زاوية، كان من أشهرها: زاوية سيدي مسيد، وزاوية سيدي مخلوف، وزاوية سيدي عبد المؤمن وزاوية سيدي تلمساني، كما كان للعائلات الكبرى بالمدينة زواياها، على غرار زاوية أولاد الفكون،وزاوية ابن نعمون، وزاوية أولاد جلول.[1]

ثالثا:المكتبات

كانت الجزائر خلال العهد العثماني في مقدمة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات بحيث كانت الكتب تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ، أو تجلب من الخارج خاصة من بلاد الأندلس، ومصر، وإسطنبول، والحجاز [2]، كما جلب الجزائريون المخطوطات من الدولة العثمانية وبلاد المغرب[3].

وكان بقسنطينة مصادر متنوعة للكتب، منها كتب الأندلسيين، ذلك أن أهل هذه المدينة، كانوا مولعين باقتناء الكتب، والبحث عن نفائس المخطوطات، [4] ويعزى سبب ذلك، إلى وجود العلماء والأدباء المتعلمين والمثقفين بها[5].

والمكتبات نوعان، عامة مفتوحة للطلبة، ولجميع المسلمين القراء، وهي ملحقة بالمسجد والمدرسة والزاوية، أما الخاصة، فقد انفردت بها العائلات المشهورة، وهي كثيرة نذكر منها : مكتبة عائلة الفكون، وابن باديس، وبن عبد المؤمن[6].

---

[1]أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص264.

[2]أشرف محمد صالح سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العهد العثماني التركي، مجلة أماريك مج4، ع7، 2013، ص67.

[3]فريد محمد المشهداني ورشيد رمضان سلوان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، ع16، 2013، ص437.

[4]أشرف صالح محمد سيد، المرجع السابق، ص72.

[5]فريد محمد المشهداني ورشيد رمضان سلوان، المرجع السابق، ص439.

[6]أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص97.

وقد تميزت محتويات معظم الكتب، بطابعها الديني، ككتب التفسير، والحديث والفقه،وكان نصيب المؤلفات الأدبية أو العلمية قليلا، ويفسر ذلك بأن الهدف من إنشائها هو خدمة الدين والثقافة، وبذلك تكون المكتبات، قد لعبت دورا في إنعاش الحياة الثقافية في هذه الحاضرة.[1]

وخلاصة القول، أن أهل قسنطينة كغيرهم من الحواضر المغربية الكبرى، قد اعتنوا بالمؤسسات التعليمية والدينية، فشجعوا البحث والتأليف ونسخ الكتب، وأنشأوا المدارس والمساجد، والزوايا، والمكتبات العامة، واكتنزت منازلهم الكثير من النفائس.

[1] نفسه، ص.296

الفصل الثانـي :

الفكون : الإنسان و العالم

المبحث الأول : مولده ونشأته

المبحث الثاني : المؤثرات في تكوين شخصيته

المبحث الثالث : إنتاجه الفكري وتواصله العلمي

الفصل الثاني : الفكون : الانسان و العالم

المبحث الأول: مولده ونشأته.

أولا: مولده

هو شيخ الإسلام أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني،[1] أحد كبار الطريقة الشاذلية بالجزائر، وهو من عائلة عريقة بقسنطينة توارثت العلم والجاه،[2] في حين ذكر أبو القاسم سعد الله أنه ولد سنة (988هـ/1580م) ثم أضاف قائلا [3] "وهي السنة التي توفي فيها جده عبد الكريم الفكون فسمي عليه" أما والده فهو أبو عبد الله محمد، خطيب الجامع الأعظم كان فقيها صوفيا، توفي بعد رجوعه من الحج في أواخر محرم عام1045هـ، في إحدى قرى مصر وتسمى المويلح[4]، أما أمه فهي عربية تنتمي إلى النسب الشريف، فقد ذكر الفكون في كتابه منشور الهداية عن فتنة وقعت بقسنطينة، حيث قال عن جده أنه كان مزوار الشرفاء آنذاك، وقائد جيش البلاد، وأن اسمه عبد الله محمد قاسم الشريف أي أن جده من أمه كان شريف من الذين تعاطوا المنصب الشرعي لادعائهم العلم[5].

ويقول الفكون، عندما كانت والدته حاملا به سألت جده الدعاء فقال لها: "جعل الله عمارة الدار منك"، وهذه العبارة إذا صحت تدل أن الفكون كان أول مولود لأبيه محمد،[6] ولم يذكر عن شخصيته إلا القليل النادر من ذلك أنه تزوج من ابنة حميدة بن حسين

---

[1] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق ص7.

[2] عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليلي القاسمي، الجزائر، 2005، ص214.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص519.

[4] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص52.

[5] نفسه، ص49.

[6] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص58.

الغربي، وأن هذه الزوجة بقيت عنده ثلاث سنوات ثم طلقها لأمور لا يمكن إبقاؤها، توفي بالطاعون الذي حل بقسنطينة بعد حياة حافلة بالعلم والعمل سنة 1073هـ/ 1663م[1] .

ثانيا: نشأته وثقافته

كان الفكون عصاميا في ثقافته، فلم يغادر قسنطينة من أجل طلب العلم بل دخل المسجد وحفظ القرآن الكريم، الذي يعتبر قاعدة التعلم في المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة، على يد أبي العباس بن ثلجون،[2] رغم تبرم الفكون من عصره ونعيه العلم والعلماء إلا أن الحياة العلمية كانت موجودة بفضل تواجد الشيخ أبي حفص عمر الوزان، والذي يقال عنه في بداية تراجم منشور الهداية [3]: فهو شيخ الزمان وياقوتة العصر والأوان العالم، العارف بالله الرباني توفي عام 965هـ" وقد خلف مجموعة من المؤلفات منها:

1- البضاعة المزجاة.

2- الرد على الشابية المرابط عرضه القيرواني وصحبه وهو كتاب جامع مد فيه النفس فيما يعلم أنه من أهل التصوف.

3- فتاوى في الفقه والكلام.

4- حاشية على شرح العقيدة الصغرى للسنوسي.

5- تعليق على مختصر خليل.[4]

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص519.

[2] حسين بوخلوة، المرجع السابق، ص52.

[3] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص35.

[4] حسين بوخلوة، المرجع السابق، ص53.

ولكن الذي أسهم في تعلم الفكون هو أنه نشأ في حضن والده وعلى تراث عمر الوزان، وعبد الرحمان الأخضري ويحي الاوراسي، فكان تلاميذ هؤلاء هم الذين يرأسون حلقات الدرس في مساجد قسنطينة، والتلاميذ يأتون إلى تلك المساجد من كل نواحي، من زواوة والأوراس ونقاوس،[1] كما أنه أخذ العلم على يد والده وأبي زكريا يحي بن سلمان الأوراسي ومحمد تواتي المغربي،[2] بالإضافة إلى تردد علماء تونس والمغرب على المدينة، وزيارات المشارقة سواء الذين وصلو مع العثمانيين أو الذين وصلت أخبارهم عن طريق الحجاج.

فبعد أن نال حظا في المعرفة على شيوخ عصره عكف على القراءة وحده في مكتبة العائلة، وهي من أقدم المكتبات الخاصة في الجزائر، تحتوي على الآلاف من المخطوطات توارثها أبناء العائلة، إلا أنها تعرضت إلى الضياع والنصب مع دخول الاحتلال الفرنسي، وبيع الكثير من محتواها في المزاد العلني، كما ساعده ذكاؤه الحاد وطموحاته الكبيرة مما جعلته يتفوق على معاصريه وبعض شيوخه، [3] واكتسب ثقافة متينة واطلاعا واسعا على علوم عصره الفقهية منها واللغوية، وفي هذا الصياغ نذكر ما حدث بينه وبين إبراهيم الفلاري التونسي الذي نزل بقسنطينة، وكان يدعي معرفته النحو واستطال به على أهل البلد ويستصغر جانب الشيخ التواتي في النحو، ويرى لنفسه التقدم عليه، فامتحن الفلاري الفكون بعدما كان عائدا من الكتاب إلى الدار فقال له ما الجامع بين قوله تعالى [4] : "فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين"

---

[1] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون الداعية السلفية، المرجع السابق، ص58.

[2] فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (225-1246هـ/1520- 1830م) أطروحة الدكتوراه في التاريخ والحضارة السلامية, قسم التاريخ، جامعة وهران 2013-2014، ص130.

[3] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص11

[4] القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية97.

وقول الشاعر:

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم.....من العبيد وثلث من مواليها

فالفكون لصغر سنه وقلة معرفته لم يجيب، ومن هذا الموقف اشتدت عزيمته على دراسة النحو، ثم استفزه الفلاري مرة ثانية، فسأله الفكون فقال له أجبني عن قول الشاعر:

إن هذه المليحة الحسناء.....وأي من أضمرت لخل وفاء

ما إعرابه؟ وما معناه؟

فلم يجبه ومن هنا تبين أن الفلاري لم يكن له المعرفة الواسعة بعلم النحو انكشف أمره أمام مجلس العلماء[1] .

ثالثا: صفاته

تحلى الفكون بسمعة طيبة ومميزة بين الناس، فهو ذا عقيدة المسلم السني المتمسك بآداب الشرع والجماعة، محافظا على سلوك سيرة والده من حلم و وقار كما اتصف بالفصاحة إذ يقول [2]: "كنت لفصاحة لساني أمسك له الكتاب وأقرأ عليه المناظرة ولسرعة اخراجي للخط وعدم توقفي فيه، فمن أجل ذلك اعتمدني لإثراء الكتاب. "وهناك بعض من كتب التراجم التي رفعت من منزلته نذكر منها:

عيسى الثعالبي حيث قال عنه [3]: "رئيس اللسان وفخر المنابر إذا خطب ولسان المحابر

[1] لطيفة فار ونور الهدى ولابي، المرجع السابق، ص19.

[2] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص106.

[3] عيسى الثعالبي ولد في الجزائر في موطنه الثعالبة الذين كانت إمارتهم تمتد من نواحي مليانة غربا إلى سهول وادي يسر شرقا، تلقن العلم بمسقط رأسه وتتلمذ على يد سعيد قدورة وتزوج من ابنة شيخه الأنصاري، ومن أبرز مؤلفاته كنز الرواة توفي بمكة سنة 1080هـ، يذكر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2 ،المرجع السابق ,ص ص53.52.

إذا شعر أو كتب"، ووصفه أحمد المقري [1] في كتابه نفح الطيب فقال " عالم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها، سلالة العلماء الأكابر وارث المجد الأكابر، مؤلف العلامة الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله، كما اثنى عليه أيضا أحمد بن قاسم البوني عندما ذكر بعض فضلاء وعلماء قسنطينة الذين زاروا بونة فقال [2] :

سيدي عبد الكريم العالم الصالح الفكون ذو المقام

مؤلف التواليف الكثيرة وكان ذا مناقب أثيره

المبحث الثاني: المؤثرات في تكوينه

أولا: أسرته

تعتبر أسرة الفكون من العائلات العريقة، والمعروفة بالعلم في قسنطينة حيث لعبت دورا مشرفا في الحياة الفكرية للمدينة منذ عهد الخلافة الموحدية، وقد تمتعت بالاحترام الكبير من قبل الجميع، وذلك نظرا لتحالفها منذ البداية مع العثمانيين، فكانت خادمة للدين والدولة[3].

فكان علمائها يلقبون بشيوخ الإسلام وكلامهم مسموع من قبل بايات قسنطينة أو دايات الجزائر وأصبحت من أغنى الأسر بقسنطينة نتيجة لأوضاعها الاقتصادية حيث أنها

[1] أحمد المقري هو أحمد بن محمد بن يحي أبو العباس المقري التلمساني، المؤرخ الأديب، ولد سنة 986هـ/1578م المتوفى سنة 1041هـ/1631م، نشأ في مدينة تلمسان فقرأ وتعلم بها انتقل إلى فاس ومصر والحجاز، من مؤلفاته روضة الأس وكتاب أزهار الرياض ينظر: أبي العباس أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تح, محمد بن معمر. بمكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004ن ص5-8.

[2] أحمد بن قاسم البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تح ,سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص96.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص510.

تملك عقارات وأراضي فهذا الذي ساعدها على البروز في جوانب عدة وبخاصة الجانب العلمي،[1] ومن أفراد هذه العائلة نذكر:

1- أبي زكريا يحي بن محمود (ت 941هـ/1534م): وهو أبو زكرياء يحي بن محمد بن محجوبة وهو جد والده، حاز في زمنه على رئاسة الفتوى وكان له الباع الطويل في علوم الشريعة والفقه، حيث كررت عليه النوازل وحضر الكثير من مجالس الشورى له فصاحة قلم دون لسان[2].

2- قاسم بن يحي الفكون (ت 965هـ/1557م):وهو قاض ومفسر وفقيه، نشأ وتعلم وأتم دراسته بتونس وولي الإمامة بجامع البلاط بها ولكنه عاد الى قسنطينة فولي قضاءها[3].

3- أبو محمد عبد الكريم (الجد) (ت 988هـ/1580م):هو من أبرز العلماء بقسنطينة جمع بين العلم والتصوف، وتولى الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم الواقع بالبطحاء وقد وصفه حفيده صاحب منشور الهداية بغزارة علمه وكثرة اطلاعه على الأحاديث النبوية[4].

4- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفكون (ت 1045هـ/1632م): هو والد عبد الكريم الفكون، تولى وظائف والده من بعده كالإمامة والخطابة بالجامع الكبير بقسنطينة،كما تصدى للتدريس فكان فقيها صوفيا،[5] ويرجع إليه كثيرا في مسائل الإفتاء.

---

[1] أمحمد بوشريط ,ابن الفكون وإسهاماته في التأليف: منشور الهداية نموذجا، مجلة عصور الجديدة، العدد 18 يصدرها مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، أ وت 2015، ص91.

[2] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص63.

[3] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت، لبنان، 1980، ص255.

[4] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص47، 49.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص520.

ثانيا: وظائفه

تولى علماء وفقهاء الأسرة الفكونية العديد من الوظائف والمناصب سواء كانت اجتماعية أو دينية، وهذا ما يدل على قربها من الأسرة الحاكمة، ومن هؤلاء العلماء نذكر عبد الكريم الفكون، الذي ورث عن والده وجده عدة مناصب، فقد زاول التدريس منذ صغره وكان مدرسا ناجحا،[1] فقام بهذه الوظيفة في عدة أماكن منها الجامع الكبير وداره وفي مدرسة العائلة وغير ذلك من الأماكن، [2] بالإضافة إلى أنه يستقبل الطلبة من قسنطينة والوافدين دون أخذ الأجر عليهم[3].

كان والده يقدمه رغم صغر سنه في المسائل العلمية ليواجه به بعض المتحدين له،فقد استخلف به أحمد الميلي للصلاة بالجامع الأعظم وهذا الأمر لم يعجب الميلي فصار يستهزئ بعبد الكريم الفكون بالمشافهة أمام جمع من الطلبة لصغره وعدم تضلعه آنذاك في العلم، أما عند الخاصة فيشنعه بأنه في سن لا تجوز صلاته بهم، كما شغل منصب الإمامة والخطابة بعد وفاة والده عام 1045هـ/1635م،[4] وأسندت إليه إمارة ركب الحج في الجزائر وقسنطينة، [5] تم تسميته بأمير ركب الحج سنة 1048 فضرب الطبل واتجه بالمسلمين وحصل على لقب شيخ الإسلام بعد أن بلغ نفوذه العلمي والروحي ذروته.

---

[1] فوزية لزغم، المرجع السابق، ص157.

[2] عبيد بودواود، تجربة عبد الكريم الفكون في التاريخ والترجمة من خلال مؤلفه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 12 دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005، ص322.

[3] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص70.

[4] نفسه، ص71.

[5] أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، طبع مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906 ص163.

المبحث الثالث: إنتاجه الفكري وتواصله العلمي:

أولا: تلاميذه

كان لعبد الكريم الفكون تلاميذ أخذوا عنه علمه، إذا كان يقصده طالبو العلم من مختلف أرجاء البلاد مثل الجزائر وعنابة ومتيجة وزواوة وغيرها من المدن الأخرى، ليس لشيء إلا لأنه مدرسا بارعا فمن هؤلاء نذكر:

1- أبو المهدي عيسى الثعالبي: هو عيسى بن محمد بن محمد أحمد المغربي الجعفري توفي عام 1080هـ، أصله من الثعالبة، تلقى العلم بمسقط رأسه ثم رحل إلى الجزائر وقد تتلمذ على يد سعيد قدورة وعبد الواحد الأنصاري اسجلماس، لكن بعض الأحداث منها الثورة ضد الباشا يوسف، الذي كان مقربا للثعالبي والتي انتهت برمي الباشا في السجن، جعلت الثعالبي خائفا على نفسه فتوجه إلى قسنطينة وان لم يظل مقامه بها لعدم استقرارها، إلا أنه اتصل بالشيخ عبد الكريم الفكون ،[1] وقرا عليه بعض الموطئ مالك,الصحيح البخاري ومسلم وسنن الاربع سنن ابي داود واسنائي والترميذي وبن ماجة[2].

2- أبو سالم العياشي المغربي: هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي العياشي السجلماسي, لم يذكر ما قرأ على الفكون بل لخص ما أطلع عليه من مؤلفاته منها محدد السنان في نحور اخوان الدخان، والديوان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم عندما حج معه (1064هـ/1654م)[3].

3- يحي الشاوي: ولد يحي بن محمد بن محمد عبد الله بن عيسى أبو زكريا النايلي الشاوي الملياني بمليانة عام (1030هـ/1621م) نال شهرة كبيرة في عصره له عدة تأليف

[1] حسين بوخلوة، المرجع السابق، ص57.

[2] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص91.

[3] لطيفة فار و ونور الهدى ولابي، المرجع السابق، ص40.

في النحو والعلوم المختلفة منها: شرح التسهيل والتحف الربانية في جواب الأسئلة ، توفي (1096هـ/1685م) والمعروف ان الشاوي كان قد أقام طويلا في مصر والحجاز وأثناء تردد الفكون على الحجاز لأداء الحج التقيا هناك ودرسه[1].

4- بركات بن باديس: هو من عائلة ابن باديس الشهيرة بمدينة قسنطينة، كان من أشهر علماء العصر، تتلمذ على يد الفكون وأخذ عليه العلم وذكر ذلك في أحد كتبه وهو (نزع جلباب) كما قدم للفكون الجواب عن لغز السيوطي في إحدى مسائل النحو[2].

5- علي عثمان الشريف: هو من زواوة من قبيلة بني بترون، قدم إلى الفكون من أجل القراءة، فوجده مريضا، فاعتذر له بضعفه ولكن ابن عثمان بقي معه حوالي نصف سنة،ورغم أنه كان ضعيف في العربية لكنه تمكن منها ولازمه وقرأ عليه المكودي والمرادي،فأجازه وبلغه أنه أصبح صاحب درس عظيم وغني[3].

ثانيا: شيوخه

تعلم عبد الكريم الفكون وتتلمذ على يد مجموعة من الشيوخ الذين كان لهم الفضل في بروز علمه، وتميزه ومن هؤلاء الشيوخ نذكر:

1- والده محمد بن عبد الكريم: تعلم على يديه في زاوية العائلة، وبعدها أخذ يتدرج في الحياة العامة، وينشد العلم حيث وجد[4]ه.

2- محمد التواتي المغربي: أخذ عنه النحو والتصريف، وقال عنه تلميذه :الشيخ الأستاذ تحرير النحوي أخر المتكلمين لسان حجه الإسلام اشتهر في قسنطينة، وانتفع بعلمه عدد

[1] لطيفة فاروونور الهدى ولابي، المرجع السابق، ص41.

[2] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص93

[3] حسين بوخلوة، المرجع السابق، ص59.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص522.

من الطلبة، كان من بينهم صاحب منشور الهداية عبد الكريم [1]الفكون، حيث قرا عليه ألفيه شرح المرادي والتذكرة للقرطبي وغير ذلك من التأليف.

3- أبو الربيع سليمان بن أحمد القشي: هو من بلدة نقاوز، انتقل إلى قسنطينة مراهقا بعد موت والده بالطاعون سنة ثلاث وستين، حيث درس على الفكون الجد القرآن والفقه والمختصر ثم رحل إلى مصر لتوسيع مداركه العلمية، وقد انتفع بعلمه الكثير من بينهم الفكون الذي قرأ عليه الرسالة والشرح الصغرى في العقائد وبعض أوائل الألفية [2].

4- **محمد الفاسي المغربي:** درس عليه بعض مسائل الاسطرلاب وبعض الفرائض إلا أن الفكون لم يقتنع بقدرات شيخه العلمية فقال: "ليس له معرفة في معاني الألفاظ وبالصناعة الكسورية، فأطبقت الكتاب لما تحققت من عجزه، وطالعت وحدي ففتح الله في عمل الفريضة بالطريقة الكسورية[3].

5- أبو عبد الله محمد بن راشد الزواوي: قرأ عليه النحو وتأثر به كثيرا وهو لايزال صغير السن، فحبب ابن راشد النحو في قلب الفكون، وقد اعتمده أيضا في تسميع الدرس لفصاحة لسانه[4].

ثالثا: مؤلفاته

رغم قلة مؤلفاته إلا أنها كانت ذات أهمية وذلك من خلال المعلومات التي تقدمها حول مختلف جوانب الحياة في قسنطينة إبان العهد العثماني ومن تأليفه نذكر:

1- في النحو واللغة: ومن بين التآليف التي تركها لنا الفكون في هذا الفن نذكر:

[1] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص57، 59.

[2] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص61.

[3] نفسه، ص61.

[4] نفسه، ص62.

أ- شرح أرجوزة المكودي في التصريح: هي عبارة عن مجلد تكلم فيه عن لفظ الشروح، حيث جاء في أوله "الحمد لله الذي أجرى تصاريف المقادير بواسطة أمثلة الأفعال وأوضح بيان افتقارها إليه بتغير حالاتها من حركة وصحة اعتلال ونزع أشكال عن وجودها إلى ضم الانضمام إليه وكسر الانكسار لديه وفتح الانفتاح في مشاهدة العظيمة والجلال ويقول العياشي على هذا المطلع أنه اشتمل على براعة الافتتاح ولطيف الإشارة إلى أنواع الإعراب والتصريف [1].

ب- فتح الهادي في شرح المجرادي

ج- شرح شواهد الشريف على الأجرومية [2]: وفيه التزم عند ذكره لكل شاهد حديثا مناسبا له

د- شرح مخارج الحروف من الشاطبية

2/ في العلوم الدينية:

أ- منشور الهداية في كشف حال من ادعي العلم والولاية:

يعتبر هذا التأليف من أهم التآليف للشيخ عبد الكريم الفكون، لأنه يعطينا صورة عن الحالة التي كانت تعيشها قسنطينة خلال فترة هامة من تاريخها، وهي الفترة العثمانية من كل النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية، وقد ألف منشور الهداية على فترات في شكل مذكرات وانتهى منه بعد سنة 1045هـ/1635م وهي السنة التي توفي فيها والده بالمويلح أثناء منصرفه من الحج[3].

[1] حسين بوخلوة، الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وانتاجه الفكري (1073-988هـ/1580-1663م) مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد9، جامعة ابن خلدون، تيارت، جوان 2016، ص69.

[2] محمد بن خلدون، شجرة النور التركية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبها القاهرة، 1349، ص310.

[3] حسين بوخلوة، الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وإنتاجه الفكري، المرجع السابق ص70.

فاستهل كتابه بالكلام على النموذج السليم للفئات التي قصدها بالإصلاح وهم العلماء والصوفية، وفي ذلك فصل عنونه ب: من لقيناه من العلماء والصلحاء الذين لقيهم أو سمع عنهم، وكانوا في نظره من المقتدي بهم ثم انتقل في الفصل الثاني إلى المتشبيهين بالعلماء وهم الفئة التي يبدو أن فسادها أقل تعقيدا من الفئة الثالثة التي عالجها في الفصل الثالث، وهم كانوا كما نعتهم يمثلون المبتدعة الدجاجلة الكذابين على طريق الصوفية المريضة، أما الخاتمة فقد خصصها لذكر اخوان العصر من الأصحاب والأحباب[1].

ب- محدد السنان في نحور اخوان الدخان (مخطوط):

هو عبارة عن مخطوط مكون من 58 صفحة مكتوب بخط مغربي واضح، فمن خلال عنوانه يتبين لنا أنه بيان الحكم الشرعي في تناول الدخان، أو التدخين كما نقول اليوم فهل هو حرام يجب تجنبه أو حلال يمكن تعاطيه، [2] ويبدوا أن هذه المسألة كانت منتشرة في عصر الفكون فحكم الشيخ بتحريمها ووصف أضراره وقال عنه يغيب العقل ويسد مجاري النسيم ويثل اللسان عن النطق بالشهادة، انتهى من تأليفه 1025هـ/1616م.

ج- ديوان الفكون :

تم تأليفه في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة من 1031هـ. مدح فيه الرسول صلى الله عليه وسلم,وهو عبارة عن قصائد بداها ببسملة وصلاة على رسول صلى الله عليه وسلم, كما ذكر المؤلف مرضه[3] .

[1] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص17.

[2] أبو القاسم سعد الله، شيخ الاسلام، المرجع السابق، ص152.

[3] حسين بوخلوة، الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وانتاجه الفكري، المرجع السابق، ص73

3- مؤلفاته الأخرى:

أ- نظم الدرر في الشرح المختصر (لعبد الرحمان الأخضري)

ب- سربال الردة فيمن جعل السبعين لرواة الأقراء عدة

ج- سلاح الذليل في دفع المستطيل [1]

د- شافية الأمراض فيمن التجأ إلى الله بلا اعتراض

هـ- تقييد في مسألة الحبس [2]

رابعا: مراسلاته

1- مراسلاته مع علماء الجزائر

أ- مراسلاته مع سعيد قدورة:

تمتع الفكون بمكانة كبيرة سواء داخل البلاد أو خارجه، مكنته من مراسلة الكثير من أقرانه خاصة من أهل العلم ومن أبرزهم سعيد قدورة الجزائري الدار، التونسي الأصل،فمضمون هذه الرسالة يتمحور حول أمور علمية والعلاقة الموجودة بين الشخصين، فأهم ماجاء فيها [3] "...احمد الله الذي جعل الرسائل وسائل لتعارف الأرواح وقلدها من أسراره حمائل وجبائل تجتذب بها القلوب والأشباح، وتقرب مسايف المتحابين وإن شطت مزارهم وأتراح .... إلى أن يقول[4]: على أني واصلتكم فيما سلف من الزمان بعجالة حسب المقدرة والوقار، ثم بليت بخطة الفتوى التي هي الحقيقة بلوى إذ كانت

[1] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص205.

[2] نفسه، ص67 .

[3] حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكون حياته وأثاره، المرجع السابق، ص83 .

[4] نفسه، ص84.

تشغل عن كل فرض ونقل وترد كما قيل المتحابين له وعليه ويمنحنا من قربه أحسن إحسان ومع الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم".

ب- مراسلته مع أحمد المقري:

لقد دارت بينهما مراسلات عندما كان المقري في الحجاز ومصر، حيث أرسل إليه الفكون رسالة في رجب من عام 1038 واعتذر فيها بانشغاله بوفاة زوجته وقد جاء في نص الرسالة مايلي [1]: ".....وقد اتصل بيدي جوابكم أطال الله في العلم بقاؤكم..... وقد ساعد اللبنان الجبان في اجابتهم بوزنها وقافيتها والعذر لي أنني لست من أهل هذا الشأن والاعتراف بأنني جبان وأي جبان والكمال لكم في الترضي والقبول والكريم بغض عن كوارث الجهول وظننا أن نجعل على منظومتكم الكلامية يعني "إضاءة الدجنة" تقييدا أرجو من الله توفيقا وتسديدا بحسب قدري لا على قدركم وعلى مثل فكري القاصر لا على عظيم فكركم وأن ساعد الأوان وقضى بتسييره رب الزمان فأتي به إن شاء الله الأجل لأنني بالإشراق إلى حضرتي راكب البراق مخترق أسبع الطباق وكتب عازم على أن أبعث لكم من الأبيات أكثر من الواقع إلا الرقعة أعجلت وصادقني موت قعيدة البيت". وقد كان الواسطة في هذه الرسائل محمد بن باديس حيث سئل هذا الأخير المقري على إعراب ابن عطية في الآية: "ولأتمم نعمتي عليهم ولعلكم تهتدون" [2] .

وعندما أجابه المقري حمل ابن باديس صورة جواب المقري معه إلى قسنطينة وقد لاحظ الفكون أن المقري أجاب أو علق على الإجابة تصحيحا لا توضيحا [3] غير ما

[1] نفسه، ص84-85.

[2] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية150

[3] أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، المرجع السابق، ص105

طرزه بأوصاف هي إلى التحكم عنده أقرب منها للتحقيق وأورد قوله تعالى "وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون" [1]

كدليل على عدم رضاه عن جواب المقري.

ولم يكتفي الفكون بذلك بل هاجمه قائلا" أنه خان الله ورسوله وأن هذا ليس من شأن العلماء العاملين وأنه غطى الجواب بتزويق الألفاظ ....." غير أن المقري لم يصرح بأي كلمة تسيء للفكون بل مدحه أعلى مقامه.

ج- مراسلاته مع شخصيات أخرى.

تنوعت مراسلات عبد الكريم الفكون مع شخصيات أخرى بقسنطينة، منها محمد الفقيه الزواوي وهو الذي أراد الحج في ركب محمد حفيد عبد المؤمن، كما راسل محمد بن راشد الزواوي الذي جاء إلى قسنطينة لأجل طلب العلم ، و هو الأب جعل قلب الفكون يتعلق بدراسته النحو و لما رجع إلى و طنه زواوة واصل التدريس هناك و كان له ما بعد ذلك مراسلات [2] .

و أيضا تراسل مع الاخويين علي و عبد الرحمان بهلول بالاضافة إلى مراسلته مع احمد بن الحاجة و هو الذب تولى نيابة قضاة بميلة ثم قسنطية كان كثيرا ما يراسل الفكون عن بعد و يشافهه عن حضور بمسائل تعرض له أو يستشكلها [3] .

[1] القرآن الكريم، سورة القصص، الآية 69 .

[2] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 109.

[3] نفسه ، ص 213.

2/مراسلاته مع علماء تونس

أ-مراسلته لمحمد تاج العارفين العثماني

كان للفكون مراسلات مع بعض علماء تونس و على رأسهم محمد تاج العارفين العثماني و يبدو أن مراسلة كانت سنة 1037 ، اثناء مناسبة مجيئ الوفد التونسي إلى قصر جابر للتصالح مع الوفد الجزائري ، بعد الحرب بين الايالتين ، و كان ضمن هذا الوفد احمد بن الحاجة صديق الفكون و الذي يرجع إليه [1] ، الفضل في فتح هذه المراسلة ، و هذا ما جاء في نص رسالة تاج العارفين [2] " الحمد لله الذي اطلع الشمس طلعة الفكونية من الافق الغربي و ياعجبا من طلوع الشمس منه امانا للعالم ....

كما قال:

اهدي اليك سلاما يفارح الندّ نشره

يلقاك من كل فخ إذا تلقاك بشره

اهديه إلى السيد الفقيه العالم العلم الشريعة ، التحرير المتقن الوجيه من لنا إلى حبه ركون ...الخ .

و يقول الفكون و عدد من الأوصاف الجميلة ما أنا حال منها و لو من بعضها و لا استحقها علما و عملا لكن أرجو من المولى أن يجعلني كما يضن الخلق و لا يفضحني بينهم في الدنيا و لا في الآخرة ، و قد استمرت المراسلة بينهما حيث أشار الفكون في رسالته إلى تاج العارفين إلى العلاقة الوطيدة بين عائلته و عائلة تاج العارفين ، فقد ذكر

[1] أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون ، المرجع السابق ، ص 105.

[2] حسين بوخلوة ، عبد ا لكريم الفكون حياته و آثاره ، المرجع السابق ، ص 88.

أن والده كان يتراسل مع جد تاج العارفين و هو المعروف بأبي بكر خطيب بجامع الزيتونة [1] .

ب- **مراسلته لإبراهيم الغرياني القيرواني**

هو من أعضاء الوفد التونسي المذكور سابقا ، الذين راسلوا الفكون من اجل الصلح وانتهت بالصداقة و تبادل الرسائل و الأشعار و من مضمون هذه الرسالة [2] : ... واكتب له أبياتا تكون راسخة للوداد ، وتبلغني بدعائه غاية المراد بفضل الملك الجواد و أسأله أن ينظره بعين الرضى و أن يبدل عليها ذيل الإغضا لأني كتبتها وأنا مشوش بالسفر و أنا عند نفسي أقصر و أصغر وقد قدمتها مقدمة مهملة الحروف ، مصليا و مسلما على النبي الرؤوف و على آله وأصحابه ذوي الخيرات و المعروف ، وكان فيها حال الإقامة بمكان يقال له قصر جابر ،حين قدومنا للصلح بين السادة الجيش الأكابر ،محبته مولانا سيدنا أبي العز تاج العارفين في الإحسان و التمكين "

كما يقول الغرياني في عبد الكريم الفكون نظما : [3]

لأنه فاضل فاق المناظر في كل المكارم من أجار و مرتحل

في دهرنا هو عز اللائذين به و لم يعول بدنياه على رجل

فإن نحا ببنيان حل منطقه و إن تكلم في ا لتحويد قل وسل

مؤرخ فاضل بالفقه متزر محدث بحديث صح في الأصل

و هو الذي تبري الأسقام دعوته و ينعش الروح بالآيات عن عجل

[1] ابو القاسم سعد الله شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون ، المرجع السابق ، ص 106.

[2] حسين بوخلوة ، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته و آثاره ، المرجع السابق ، ص 89.

[3] حسين بوخلوة ، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته و آثاره ، المرجع السابق ، ص 91-92.

و فضله شاع بين الناس مشتهرا كالبدر يعلوا لنا لكن بلا أفل

الفصل الثالث:

مواقفه من قضايا عصره

المبحث الأول : موقفه من التصوف و الطرقية

المبحث الثاني : الفكون و المسائل السياسية

المبحث الثالث : أراؤه في القضايا الإجتماعية

الفصل الثالث: مواقفه من قضايا عصره

المبحث الأول : موقفه من التصوف و الطرقية

كان عبد الكريم الفكون من المتصوفين و كان في الواقع شاذليًا زروقيًا ، وهو لا يخفي ذلك أو ينكره بل يعلنه في غاية الصراحة، وكان يسير على مقتضى تعاليم الطريقة الشاذلية و الطريقة الزروقية في أرائه و سلوكه، و قد تأثر بهذه التعاليم من عدة مصادر [1] منها أنه أخذ تعاليم هذه الطريقة عن والده عن جده عن عمر الوزان الذي قال عنه الفكون انه دعوة الشيخ صالح ابي العباس احمد زروق الذي كان يأتي مع طائفة من التجار كل سنة إلى مدينة قسنطينة ، قادما من المغرب ، و كان والد عمر الوزان يعمل جابيا للضرائب بباب المدينة، ولمكانة الزروق، فقد كان يعفيه من الدفع، وقد حضر ذات مرة فلم يجد والد الوزان، فسأل عنه، فأخبر أنه قد رزق بمولود واشتغل بوليمته، فقصده إلى داره و حمل الولد في كفه ، و أخذى يدور به الغرفة وهو يتمتم له بكلام صوفي وأدعية ، مفادها أن عمر الوزان سيكون من أهل العلم والصلاح في قومه. [2]

وهناك أدلة أخرى تدل على أن الفكون كان متأثرًا بالطريقة الزروقية، حيث ذكر أنه قرآ على الشيخ يحي الأوراسي الذي أخذ الطريقة عن شيخه الطاهر بن زيان الزواوي عن أحمد زروق [3] ، كما نجد أن الفكون تأثر أيضا بصورة كبيرة بالشيخ عبد الرحمان الأخضري و قد استشهد بآبيات قصيدته المشهورة بالقدسية التي انتقد فيها انحرافات الصوفية [4].

[1] أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام ، المرجع السابق ، ص 109.

[2] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 36

[3] أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام ، المرجع السابق ، ص 110.

[4] حسين بوخلوة ، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته و آثاره ، المرجع السابق،ص 73.

فالتصوف الحقيقي عند الفكون قائم على العلم و العمل و السعي إلى معرفة الله حق المعرفة ، و الابتعاد عن مغريات السياسة و السلطة ، و رغم أن هذه الشروط قد تبدو خيالية فإن شواهد كثيرة على و جود من توفرت فيه و لعل عبد الرحمان الثعالبي والاخضري و عمر الوزان خير شاهد على ذلك، فهم قد أضافوا إلى العلم الزهد والتصوف.

إن اهتمام بعضهم بعلوم الباطن فقط يعتبرون منحرفين عن الطريق الحقيقي للتصوف ، و هذا ما حدث لدى الكثير في عصر ساد فيه التخلف ، فقد ظهر أشخاص يدعون دعوات ضالة و مضرة بالمصلحة العامة و مع ذلك لم يوقفوا عند حدهم بل سمح لهم بالنشاط و النمو و انتشار الفوضى الدينية و كثرة الخرافات و حلول السحر محل العلم [1].

نذكر منها : قاسم بن أم هاني فقد اتخذ طريق الشعوذة ،لكي يرد ما كان لأسلافه من زكوات و أعشار ، و قد قيل عنه بدأ بإكثار من الصوم و الصلاة ، و لبس الغرارة المرقعة ، حتى اشتهر آمره بين الناس .

وقد ذكره الفكون، و سرد أفعاله مستنكرا عليه ذلك ، حيث قال : [2] " فأظهر إذ ذاك البدعة ، و أشهر الخدعة ، وجعل تلامذة سماهم الفقراء ، على طريق أهل البدع واتخذوا الحضرة ، و هي لعبة يتخذونها يراؤون بها الناس ، و لا يستخفون من الله بها يأكلون ومنها يتمولون ، و عليها في قضاء اوطارهم يعولون, يجتمعون للذكر المولى جل جلاله فيغيرون اسمه ويرقصون وربما يتضاربون ، فتراهم ككلاب نابحة ولعابهم كمياه طافحة ، و أنفاسهم كنيران نافحة ، لا يفرقون بين واجب و مندوب و لا محرم و مكروه ،ويعتقدون أن ما هم عليه من الحق الواضح والطريق الأقوام الراجح ، و لقد زين لهم الشيطان أعمالهم وحبب إليهم أفعالهم " .

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1 ، المرجع السابق ، ص 482.

[2] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 120.

ومن قبائحه أنه إذا رأى فرسا جميلة ، يذهب إلى صاحبها و يقول له إياك أن تبيعها ، ثم يأخذها منه إما بدون ثمن و إما بثمن بخس ، و إذا رفض صاحب الفرس العرض يهدده الشيخ بالنكبات .

وأمثال قاسم كثير، فهذا الشيخ محمد الحاج بدأ حياته في نواحي أم دكال متنسكًا و معتزلاً عن الناس ، ثم ظهر في البوادي واتخذ زوايا و رعايا تزكي عليه و يأخذ منها الأعشار و الجبايا ، و أصبح هو يولي من يشاء و يعزل ويعطي العهد ويمنع و كان أتباعه يحلفون برأسه ، و كان الشيخ الجليس قد ظهر عليه الجذب و كثر الخنا على لسانه و التفوه به، كما يقول الفكون أمام الذكور و الإناث على السواء و كان يأكل الحشيشة و يعطيها لمن يزوره ، بل يلزمه بأكلها ، و عندما مات له قط آسف عليه و صنع له كفنا و جعل مشهدًا ومدفنا ، و الغريب أن خاصة و عامة قسنطينة قد جاؤوا للجنازة و تعزية الشيخ في فقيده [1] .

وفي التعريف بسلطان المجدوب ، و محمد الزعلاني يقول : [2] " استعمالهما الحضرة و مخالطة النسوان، وتصديهما لإعطاء العهد و قبول ما يأتيهم من أيدي اللصوص و تناول مال الظلمة ... وكثيرًا ما يتعاطون أخذ أموال المسلمين المسمى عندهم (بالوعدة) و لا يبالون من أي وجه أخذوه، و لا من أي يد تناولوه ".

و أورد الفكون فصل لابن الحاج صاحب المدخل يستنكر فيه التساهل في إعطاء الإجازات للفقراء ، ولوسألته عن فرائض الوضوء وسننه أو فضائله ، وكذلك في الغسل أو التيمم أو الصلاة جهل ذلك غالبا .

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ، ج1، المرجع السابق ، ص 483.

[2] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 160.

كما نتقد الشيخ ظاهرة الاختلاط بين الرجال و النساء إلى حد الوقوع المحظور عندما عرف بعبد الله بو كلب الذي تعلق بامرأة و تعلقت به حتى أنها كانت تبيت عنده وحملت منه، فقالت إن الأولياء أعطوها لها ، فانظر إلى هذا الخطر العظيم والأمر الفادح الجسيم في نسبة أولياء الله و أهل صفوته إلى قبائح و خبائث[1].

فالشيخ الفكون كان له موقفا من انحرافات المتصوفة إذ روى عن الغزالي ما قاله عن انحراف متصوفة زمانه و سرد خصالهم الخارجة عن دائرة التصوف الحقيقي فقال

" هذا في زمنه ؟، فكيف في زمننا ؟ " و هكذا نجد أن بعض الدارسين قد شعروا بتردي الأحوال الصوفية وضعف الأخلاق بالمقارنة إلى الأزمنة الغابرة,ولا نكاد نجد من الثوار الذين رفعوا صوتهم ضد انحراف التصوف عن جادته الحقيقية، إلا بعض الأصوات،وكان أقوالها بدون ريب هو صوت عبد الكريم الفكون ، فهو الذي انتقد متصوفة عصره بشدة،ورمى معظمهم بالزندقة، و اتخاذ التصوف ذريعة للوصول إلى الدنيا و استغلال عقول العامة [2] .

إذ يعتبر كتابه " منشور الهداية " أهم كتاب تجلى فيه تذمره من بعض متصوفة زمانه ،وقد أعتبر الفكون هؤلاء جميعًا أنصارًا للحزب الشيطان و قام هو بالدفاع عن حزب الله و الجهاد في سبيله بكشف فسادهم و انحرافهم حيث يقول [3] :

"...وصاحب أهل الطريقة قد أصبح و أعلام الزندقة على رأسهم لائحة ، و روائع السلب و الطرد من المولى عليه فائحة ، إلا أنهم أعني الطائفتين تمسكوا من دنياهم بمناصب شرعية ، و حالات كانت قدما للسادة الصوفية ، فمو هوا على العامة بأسماء ذهبت مسمياتها ، ... و ربما صارت الطائفة البدعية مقطعا للحقوق ، و قسما يقسم بهم في

[1] حسين بوخلوة ، عبد الكريم الفكونالقسنطيني حياته و اثاره ، المرجع السابق ، ص 103.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 474.

[3] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 32.

البر و العقوق ..." و قال أيضا [1] : "...صوفية سوء بأعراض الدنيا موسخون عظمت الدنيا في قلوبهم فأسرعوا إليها طلبًا أو قال فلا يرون فوقها طلبًا ، و صغر ا لحق في نفوسهم فأعجلوا عنه هربًا ، لا علم على الحرام يردهم ، و لا ورع عن الشبهات يصدهم ،و لا زهد عن الرغبة في الدنيا يصرفهم ، حافظوا على السجادات و المرقعات و العكاكز ، و أظهروا السبح المزينة كالعجائز ، اتخذوا ظاهر الدين شركًا للحطام ، و لا زموا الخلوة والرياضات لما يأتي إليها من حلال و حرام ، وسعوا أذانهم و سمنوا أبدانهم " .

و انطلاقا من هذا، عرف الفكون بأن الصلاح المؤدي إلى معرفة الله و القرب منه ليس هو التوسط و اتخاذ الحضرة و الجذب و الكرامة و ما إلى ذلك، مما كان شائعًا في عصره ، و لكنه هو اتباع الكتاب و السنة و اجتماع الأمة [2] .

إن انحراف بعض العلماء إلى التصوف ربما زاد في حدة الصراع ، فهذا الفكون كان في أخريات أيامه منقبضًا منعزلاً عن الناس ، و مجانبًا لعلوم أهل الرسوم بعد ما كان إماما يقتدي به فيها ، و تأليفه شاهد له بالتقدم على أهل عصره وألقى الله في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقالب,والتردد للحرمين,رغم كبر سنه ، و لما سألوه عن سبب ذلك أجاب : " قرأتها (العلوم) لله و تركتها لله " [3]

و أكد في رسالة بعثها إلى المقري (1041هـ/1631م) ذلك :[4] ... و لا أريد إلا صالح الدعاء و طلبه منكم ، فإنني أحوج الناس إليه ، و أشهدهم في ظني إلحاحًا عليه ، لما تحققت من أحوال نفسي الأمارة ، واستنبطت من دخيلائها المثابرة على حب الدنيا الغرارة

[1] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 135.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 476.

[3] أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام ، المرجع السابق ، ص 115.

[4] حسين بوخلوة ، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته و آثاره ، المرجع السابق ، ص 84.

، كأنها عميت عن الأهوال ، التي أشابت رؤوس الأطفال ، و قطعت أعناق كمل الرجال ، فتراها فيلجج هواها خائضة ، و فيميدان شهواتها راكضة ، طغت في غيها و ما لانت ، و جمعت فما إنقادت و لا استقامت ..."

فالفكون في نظرنا لم يسلم من الخرافة و من سيطرة العقائد المعاصرة ، ذلك أنه طالما ذكر أشياء تبدوا لنا اليوم غير عقلية ، وهي لا تنسجم مع ما كان يدعوا إليه من تحكيم العقل و اتباع الكتاب و السنة و نبذ البدع فقد ذكر عددا من المرائي المنامية وتحدث عن كرامات رجال التصوف و أظهر التصديق لها و الإيمان بها في حين أنكر ما كان يدعيه الآخرون من كرامات و خيالات و يعتبر ذلك خبالاً في العقلو تصورات وروحانيات ...إلخ [1].

و قد قص علينا أنه مال إلى علم النحو بعدما رأى جده في المنام يقدم إليه و رقة فيها " كان فعل ماضي [2] أو نحو ذلك ، وصدق من قال له إنه رأى في بعض الكتب إن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة عبد الكريم وظنه تبشيرًا لي بموافقة اسمي لاسم هذا النبي الكريم ، و قال إن كرامات الأولياء مما يجب إلا يمان بها و أخبر أنه نوى كتابة تأليف عن كرامات الشيخ عمر الوزان [3] .

لذلك قلنا أن الفكون لم يستطع أن يتخلص من روح العصر رغم عقلانيته في نقد لأحوال الناس، و دعوته الصريحة لنبذ البدع، والتمسك بالكتاب والسنة.

[1] أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام ، المرجع السابق ، ص 141.

[2] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 11.

[3] أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام ، المرجع السابق ، ص 141.

المبحث الثاني: الفكون والمسائل السياسية .

قبل الحديث عن موقف عبد الكريم الفكون من السياسة ، نتطرق إلى بعض الأحداث التي يمكن أن تميط اللثام عن شخصيته ، فأولى الملاحظات هي علاقته الحسنة و الجيدة بالعثمانيين [1]، فكان له دور سياسي في دفع الفتن و رجاء السلامة لمجتمعه ، و بالرغم من تعامل الفكون مع العثمانيين إلا أنه كان يتحسس من تولي الوظائف لهم خاصة وظيفة القضاء و يكره التقرب من الآمراء و مخالطتهم و العمل لديهم ، زيادة على ذلك فإن كتابه " منشور الهداية " لم يتعرض فيه لكثير من الأحداث السياسية المهمة التي وقعت في عصره و من أبرزها ثورة ابن الصخري 1637 م وكذا الصراع بين الإسلام و المسيحية .

و نحن نتساءل عن السبب الذي جعل الفكون يغضوا الطرف عن هذه الأحداث ؟ فهناك تفسيران فأول أن هذه الأحداث لم تكن موضوع منشور الهداية لأنه ألف للنصح العام و محاربة البدع و الانحطاط العقلي [2] .

أما التفسير الثاني، أن الفكون كان رجل دين وعلم يؤمن بعدم التدخل بالشؤون السياسية و المحافظة على مكانة رجل الدين و العلم أمام رجل الحكم والسياسة [3] .

فالواقع السياسي أدى إلى ظهور ثورات و أصبح من الصعب إحصاؤها وتحديد أمادها ، فمنها من كان يحدث داخل المدينة نفسها نتيجة تنافس العائلات ، أو ظهور شخصيات صوفية طموحة أو حوادث عامة تهز المدينة و تقسم رأي العامة ، و منها ما

[1] مسعود ساري ، صورة السلطان العثماني في الأدب الجزائري القديم ، مجلة مقاليد ، ع 7 ، المركز الجامعي ميلة ، ديسمبر 2019 ، ص 242.

[2] حسين بوخلوة ، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته و آثاره ، المرجع السابق ، ص 71.

[3] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 9.

كان يقع في الإقليم بين أهل الريف نتيجة السخط من الضرائب و التأثر بالعزل و غضب المرابطين ، و ما نحن نسوق أمثلها عن أهم هذه الثورات [1].

أ/ثورة ابن الصخري.

كانت ثورة ابن الصخري أكبر ثورة حدثت في الشرق الجزائري خلال العهد العثماني [2] ، فقد هزت هذه الثورة أركان النظام العثماني ، و كادت تطيح به لأنها شملت المنطقة الواقعة بين الزاب وحدود تونس إلى حدود دار السلطان (الجزائر و ضواحيها) ، واستغرقت فترة طويلة ، و قد دخلت بسببها قسنطينة في فوضى لم تبرأ منها طويلا ، و رغم أن و ثائق هذه الثورة مازالت نادرة فإنه يمكننا القول أنها كانت من الثورات القبلية الاقتصادية [3] .

ورغم تحول ثورة ابن الصخري إلى ثورة عارمة جمعت معظم قبائل البايلك فإن أسبابها كانت شخصية، تقف و رائها إحدى الأسر الحاكمة و هي أسرة بوعكاز الذواودة،وقد كانت هذه الأخيرة تحتكر مشيخة العرب، و تسيطر على صحراء البايلك سيطرة شبه مطلقة، الأمر الذي فرض على بايات قسنطينة عدم التدخل في هذه الأراضي، فكانوا في بداية الحكم العثماني يفتلعون الصبر، ويكتفون بقبول ما تجود به هذه الأسرة من ضرائب سنوية تدل على ولائها إلا سمي مع احتفاظها باستقلالها الداخلي

وفي عهد الباي مراد (1032-14046هـ /1622-1637م) كانت المحاولة الأولى للقضاء على نفوذ هذه الأسرة و التخلص من سيطرتها على جنوب البايلك حيث قام الباي بالقبض على شيخ العرب محمد بن الصخري ، و جماعة من أعيان الأسرة

[1] أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام ، المرجع السابق ، ص : 15-16.

[2] أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، ط1 ، تح ، الشيخ المهدي بوعبدلي ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2013 ن ص 62.

[3] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 216.

وسجنهم ، عندما قدموا إلى معسكره لتقديم ما على الأسرة من ضرائب ، ثم أرسل إلى باشا الجزائر يستأذنه في قتل الشيخ و مرافقيه بتهمته العصيان و محاولة الانفصال عن السلطة المركزية، و بعد و صول الإذن من الباشا و الديوان نفذ الباي الحكم في الشيخ وستة من أعيان الأسرة ، كما قتل ابن الشيخ الذي كان يرافقه ، وحتى تكون هذه الأسرة عبرة لغيرها من الأسر التي تتمسك باستقلالها ، أرسلت رؤوس أعيان الذواودة الستة إلى قسنطينة لتعلق على أسوارها ، و كان ذلك يوم الأربعاء 1 صفر 1047 هـ /جوان 1637م، بعد و صول خبر اغتيال شيخ العرب و من رافقه ثارت أسرة بوعكاز و على رأسها أخ الضحية الذي أعلن الثورة على باي قسنطينة مراد [1] .

فقاد جموع العرب و الحنانشة و الذواودة ، و هاجموا مدينة قسنطينة و امتدت هذه الثورة إلى زيان و الصحراء و عنابة ، و كان من نتائجها هروب مراد باي فلم يعرف مصيره بعدها ، و مقتل كاتبه شريط بن صولة ، و أثناء هذه الثورة الخطيرة عدل يوسف باشا عن إعلان الجهاد ضد الأسبان في و هران ، وجاء بنفسه لحرب الثوار فجند كل الوسائل للقضاء عليها مثل مكاتبته لأهل الرأي والعلماء و طلب مساعدتهم [2].

وقد وقف العلماء و رجال الدين إلى جانب السلطة و على رأسهم عبد الكريم الفكون الذي أصبح زعيما روحيًا في البلاد يهابه الحكام ، و يلتجئ إليه المحكوم فكان لتدخله رجوع الأمن و الهدوء .

وبعد انتهاء ثورة شيخ العرب أحمد بن صخري كتب الباشا جوابين أحدهما إلى السيد الشيخ بن الفكون خصوصًا ، و الأخر إلى ناس قسنطينة عمومًا ، و مما ورد في الجواب الموجه للفكون[3]: " إلى المقام العالم المشهور الخير الصبور...سيدي الشيخ بن

[1] جميلة معاشي ، المرجع السابق ، ص : 338-339.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 217.

[3] محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 46.

الفكون ... فقد بلغنا أنك سرت إلى ناس قسنطينة بالتدبير المفيد ، و الرأي الصائب الرشيد ، فكان في ذلك حقن دمائهم ، وزوال الخلاف و الهرج بينهم فجزاك الله بأحسن الجزاء ... وما أنت إلى حبيبنا و صديقنا من كونك تسعى في الخير و الصلاح و ترشد العباد للفلاح و النجاح ، ثم نلتمس منكم الدعاء الخير في كل خطب و زمان كل ركب ..."

ومما ورد في الرسالة الموجهة لأهل قسنطينة :" ... وبعد فإنكم عملتم مليح وتدبيرًا لائقاً صحيح من كونكم سلمتم بلد قسنطينة إلى الترك من غير ارتياب و لاشك ، مراعاة للدولة العثمانية ، وطاعة لتلك الحضرة العلية ، و أثرتم العافية على الفتنة و حقن الدماء ...وعليكم بإتباع سيدي الشيخ بن الفكون و الانقياد إلى رأيه المصون ..."

و يشير العنتري إلى أنه بعد انتهاء ثورة ابن صخري عام 1640/1050م بقي أهل قسنطينة في أشد ما يكون من الجوع لمدة سبع سنوات أي إلى سنة 1057 هـ ، فاجتمع أهلها و كتبوا كتابا للباشا ، و هو بدوره رد عليهم بجواب و طلب منهم اختيار من يصلح لحكمهم فاختاروا سي فرحات ، و لا شك أن الاقتراح كان من الفكون أو بوحي منه،وهكذا كانت أسرته تتدخل في شؤون السياسة إذا تعلق الأمر بالصالح العام [1] .

ب/ثورة يحي الأوراسي:

هي ثورة دينية قادها المرابط يحي بن سليمان الأوراسي[2] في القرن العاشر الهجري في جبال الأوراس، و يقول عبد الكريم الفكون عن أسباب هذه الثورة أنها كانت

[1] فوزية لزغم ، المرجع السابق ، ص 518.

[2] يحي بن سليمان الأوراسي : عالمًا و مدرسًا في مدينة قسنطينة تلاميذ عمر الوزان و كتب أوراقًا وتقاييد في النحو و البيان و الفقه ، وتولي الإفتاء في الجزائر و قسنطينة ، و كان في أول أمره صاحب نفوذ لدى أهل الدولة الذين كانوا يعتقدون فيه الصلاح حتى أنهم لا يقطعون دونه أمرًا وقد انتهى إلى التصوف و أسرار الحروف و له سلسلة و خرقة على عادة المتصوف ، أنظر عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 54.

شخصية، و ذلك أن الشيخ كان مفتيًا، و حضي باحترام وتقدير الحكام العثمانيين منذ وصولهم قسنطينة، إلا أن خلافًا و قع بين الطرفين، حينما اتهم باشا الجزائر الشيخ بمحاولة الثورة على الحكم المركزي، و تكوين حكم مستقل، الأمر الذي جعل الشيخ يفر إلى الأوراس خوفًا من الانتقام، و يعلن الثورة هناك ، معتمدًا على أتباعه الأقوياء و على حصانة المنطقة.

و يقول المصدر أن الشيخ كبد القوات العثمانية خسائر فادحة قبل أن يقتل غدرًا ولعل ذلك كان من دس العثمانيين بعد أن فشلو في قتله في ميدان و مهما كان الأمر فإن ثورته قد استمرت على يد أخيه أحمد سليمان ثم ابنه أحمد بن يحي الأوراسي و بذلك تكون هذه الثورة من أهم الثورات في القرن 10 هـ/ 16 م [1] .

وهذه الرواية لثورة يحي الأوراسي لا تكشف عن جميع جوانب الثورة لأن الذي ساقها الفكون كان ضد العلماء الذين يتزلفون للسلطة و يهينون علمهم و صلاحهم بتولي الوظائف الرسمية و خدمة الأمراء ، و في نظره أن جميع العلماء الذين فعلوا ذلك فقد انتهوا بالتخلي عن قيمهم و علمهم و صلاحهم و ضحوا بالأخلاق ، أو أنهم انتهوا إلى الثورة أو التصوف الكاذب ، و في هذا الصنف يحي الأوراسي ، و لعل الشيخ يحي في نظر الفكون كان يستعمل الصلاح والتصوف لأغراض و صولية أخرى ، بالإضافة إلى التدريس و الفتيا ، وحين انكشف أمره و خشي العاقبة لجأ إلى الثورة ضد الذين أنعموا عليه بالوظائف و اعتقدوا فيه الصلاح و كان لا يقطعون دونه أمرًا فأسباب الثورة حينئذ كانت شخصية بالدرجة الأولى و لكن كان لها أهمية في المنطقة كلها ذلك أن العثمانيين قد جندوا لها قوات كبيرة دون نتيجة [2] ، فالفكون لا يعطي تفاصيل عن هذه

[1] جميلة معاشي ، المرجع السابق ، ص 366.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 218.

الثورة ، و لكنه يستعمل تعابير تدل على سعتها و قوتها و طول مدتها كقوله : " أرسلت ضده المحلات و جرت حروب و عادوا دون أن يظفروا بها " [1] .

ج/ثورة سيدي عبد المؤمن

عقب و صول العثمانيين إلى مشارف قسنطينة مباشرة ظهر بالمدينة تياران متناقضان : تيار معارض للوافدين الجدد و متمسك بالحكم الحفصي ، وتيار مناصر للعثمانيين و يعمل على تسهيل دخولهم إلى المدينة ، و كان التيار الأول بزعامة شيخ الإسلام سيدي عبد المؤمن ، و التيار الثاني بزعامة الشيخ يحي بن محمد الفكون أحد أعيان المدينة وكبار أثريائها ،. وبهذا فكانت أسرة عبد المؤمن أول الرافضين للحكم العثماني لقسنطينة [2]،وكانت هذه المعارضة شديدة إلى درجة أنها كانت السبب المباشر في تأخير دخول العثمانيين المدينة حتى الربع الثاني من القرن (10 هـ/16 م) ، إذ أغلقت أبواب المدينة في وجه القائد العثماني حسن أغا بأمر من شيخها سيدي علي عبد المؤمن، الأمر الذي جعل القائد يتمركز بسطح منصورة في انتظار الظرف المناسب لدخول المدينة دون الاضطرار إلى سفك الدماء [3] .

ومن هناك تم الاتصال بالشيخ عبد الكريم الفكون لتسهيل دخول القوات العثمانية إلى المدينة ، فكانت نصيحته للقائد العثماني بالتقرب من شيخ الإسلام سيدي عبد المؤمن و التعهد وله بالابقاء على سلطة الروحية بالمدينة ، و أكد له أن ذلك كفيل بفتح أبواب المدينة أمامه .

إلا أن محاولات العثمانيين لإستمالة الشيخ عبد المؤمن باءت بالفشل ، الأمر الذي أدى إلى استعمال الحيلة لإستدراج الشيخ إلى سطح المنصورة بدعوى التفاوض حول

[1] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 54.

[2] جميلة معاشي ، المرجع السابق ، ص 114.

[3] محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 47.

الصلح و هناك تم اغتياله ، و مما جاء على لسان الشيخ أحمد ابن العطار : [1] :" ونزل الأتراك بسطح المنصورة و شرعوا في بناء قصبة هناك لعسكرهم و أظهروا العدل والسياسة و خالف سيدي عبد المؤمن و أهل حومة باب الجابية على الترك و قابلوهم ثلاث سنين إلى أن تحيلوا على الشيخ سيدي عبد المؤمن و كانت له مشيخة فصالحوه ولم يزالوا ينصبون له حبائل المكر و الخداع حتى تمكنوا منه ..." .

بعد مقتل الشيخ عبد المؤمن لم تسلم الحاميات العثمانية من الثورات و الطرد و الرفض فتوالت عليهم الهجمات من طرف سكان حيث ثار أتباع سيدي عبد المؤمن بدعوى الانتقام ففي يوم 22 أكتوبر 1642م ثار أولاد عبد المؤمن وحملوا سلاح ضد الجنود العثمانيين الانكشاريين الذين أهانوهم و اعتدوا عليهم ، و دامت المعارك لمدة يومين،وانتهت هذه الثورة بفضل تدخل علماء المدينة و على رأسهم شيخ الأسرة الفكون،وبذلك ، فرض الأمن بالمدينة [2] .

وبذلك لعبت أسرة ابن الفكون دور الوسيط بين العثمانيين و المعارضين من أبناء بلدهم ، فكان لتدخلهم الدور البالغ في إخماد ، بعض العائلات على رآسها عائلة ابن عبد المؤمن التي كانت دائمة الولاء لبني حفص [3] .

وقبل أن نختم الحديث عن سبب و قوفالفكون إلى جانب السلطة ، فإضافة إلى أنه من أعيان الحضر الذين كانوا يدافعون عن الإستقرار بالمدينة ، لأنهم أكثر من يتضررون إثر الفتن نشير إلى سبب أخر لا يمكن إغفالها و هو أن الفكون ينتمي إلى الطريقة الزروقية و من مبادئها حسب ما ورد في كتاب " أصل الطريق " للشيخ زروق [4] : "

[1] أحمد بن عطار ، المصدر السابق ، ص 57.

[2] محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 38.

[3] السعدية قمرة ، المرجع السابق ، ص 57.

[4] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 9.

ملازمة السمع و الطاعة لآمراء المسلمين عامتهم و خاصتهم من أهل الله ، فلا يخاف عليهم بقول و لا بفعل بل إيمان و تسليم ...." .

رغم تجنب كبار علماء الإسلام الأوائل لوظيفة القضاء ، ففي العهد العثماني نادرًا ما نسمع عن عالم امتنع عن منصب القضاء أو الفتوى ، بل كان التنافس عليها على أشده، وبالنسبة للبيوتات نادرًا أيضا ما نجد بيت بأكمله يتحفظ عن تولي هذه المناصب إلا أن أشهر بيت بالجزائر أنذاك ، وهو بيت فكون كان له موقفه من القضاء و الوظائف المتصلة به ، إذ تؤكد الوثائق على تعيين علماء بيت الفكون في الإمامة و خطابة بالجامع الأعظم بقسنطينة ، و الإشراف على أوقافه ، و لا تشير إلى توليهم وظيفة الإفتاء المالكي في هذا الجامع ، و مع أن أغلبهم كانوا من كبار المفتين ، ولكن تفيدهم الفتوى كعلماء و ليسوا كموظفين و عدد كبير من فتاويهم مسطرة في نوازل الفكون[1]

لقد كان عدد من علماء بيت الفكون مرجعًا للفتوى في أيامهم ، و خير دليل على قوة أرائهم هو انتصارهم في مجالس العلماء و حتى في القضايا الحاسمة ، و من ذلك إصرار يحيالفكون على تنفيذ عقوبة الإعدام في المختاري اليهودي [2] ، و استطاع أن يفرض رأيه على المجلس و في الباي ، كما أن ابنه محمد الفكون انتصر مع ابنه عبد الكريم الفكون في المجلس حينها أراد القاضي ابن محجوبة فسخ عقد أحد الأحباس إرضاء لباي قسنطينة [3] .

وقد كان رجال بيت الفكون راغبين في تجنب الوظائف المخزنية حتى الوظائف الدينية المحضة كإمامة و الخطابة ، إذ يذكر الفكون أن جده الشيخ عبد الكريم الفكون امتنع في

[1]أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 392.

[2]أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام ، المرجع السابق ، ص 41.

[3]نفسه ، ص 70.

البداية عن تولي الإمامة و الخطابة بالجامع الكمبير بالبطحاء و لم يتولاه إلا بعد أن ألزمه على ذلك شيخه عمر الوزان [1] .

أما وظائف الإفتاء و القضاء فكانوا مبتعدين نهائيًا عنها ويبدوا أن الشيخ قاسم الفكون هو الوحيد من علماء هذا البيت الذي تولى القضاء ، و قد تولى هذه الوظيفة على الرغم من فرض أخيه الشيخ عبد الكريم الفكون لذلك ، حتى أنه رفض أن يدفن بجانبه،فعندما قربت وفاته سئل عن الموضع الذي اختاره للدفن " فعرض عليه الموضع الذي به آخوه العم سيدي قاسم المذكور ، فأجيب أنه ثقيل موحش " ثم صرح بالسبب الحقيقي بقوله : " إن سيدي يعني آخه المذكور ، سامحه الله ، كان قاضيًا و لا أحب الدفن هناك " [2] .

و كان عبد الكريم الحفيد هو الأخر رافَضًا لهذه الوظائف و كثيرًا ما كان يسد النصح لمتوليها من أصدقائه بتركها و منهم أبو العباس أحمد بن الحاج الذي تولى نيابة عن القضاة و كثيرًا ما أنهاه عن تعرضه للخطة المذكورة ، فيخجل احتشامًا و يبدي ابتساما يستجلب الدعاء من في خلاصة منها ، مع اعترافه أنه فيها على خطر [3] ، و قال متحدثًا عن صديقه الموثق أبو اسحاق ابراهيم الجزيري .

أنكرت عليه تعاطيه لبعض أمور مخزية لا أرضاها له و ليست من شأن أمثاله [4]

المبحث الثالث: موقفه من القضايا الاجتماعية

تكلم الفكون عن بعض القضايا الاجتماعية وأبدى تذمره منها إذ سخر قلمه لمحاربة المبتدعة والضالين و الآفات الاجتماعية، فقد كان صارما في حكمه متصلبا في

[1] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 48.

[2] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 48.

[3] نفسه ، ص 213.

[4] نفسه ، ص 214.

دينه حيا في ضميره، فهذا أدى إلى تعرضه إلى الأذى والنقد من طرف دعاة الفساد الاجتماعي، فجميعهم كانت لديهم مصالح في بقاء ما كانوا عليه، وعدم تسليط الأضواء على أفعالهم وعقائدهم ومن بين هؤلاء جماعة الحضر التي أعلن الفكون ثورته عليهم لنفاقهم وجهلهم فوصفهم بقوله،[1]" جماعة من رفعت يده أسندوا ظهورهم إلى بعضهم بعض موازا."، ومن بين هذه الجماعة نذكر عبد الله بن نعمون الذي عرف بالأذية والإغراء بين المسلمين، وربما كان ذلك سبب ترأسه، واختيار العامة له، فكانت سيرته أن يأتي كل قوم وكل شخص بما يحب من إذاية عدوه.

فيأتي الأول من الفريقين فيقوم بنصحه ويقول له أنه من أعالي أحبابه، ويريه أن العدو المذكور يترصده بأمور يدسها، ويقدم له نصائح وكيفية التعامل معه فيجعل صدره ينشرح لمواجهة، ثم يأتيه الخصم الآخر فيعانقه ويسأل عن أحواله يبدي له التألم من أجله، ويخبره بكل ما كان بينه إلا أنه لا يذكر مساعدته لذلك العدو وبالغدر به، ويظهر له أنه منه ومن جهته، فيخرج من عنده وقلبه مطمئن وفكره منشرح فشأنه منهما هو إما رشوة سواء عينا أو ملبسا أو رباعا أو غير ذلك وإما تحقيق أمنية له، ويقول عنه عبد الكريم الفكون بأنه شخص قبيح وأشام خليقة من الأشخاص وأعطاه الأذن وأرجو من الله أن يهدم مناره ويطمس آثاره ويخرب داره وقراره، وفي العلم فهو أجهل ممن رأيت وأحمق ممن لاقيت. ونجد من مساوئ أبو عبد الله بن نعمون، أنه قام بتغير أحباس البلدة وهتك حرمتها وبيعها، فدعى عليه عبد الكريم الفكون بأن تظهر البلاد منه ويرتاح العباد من أعماله[2].

[1] نفسه، ص84

[2] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 84.

كما تذمر عبد الكريم الفكون من بعض طبائع الحضر في منشور الهداية "وفي محدد السنان"، وذلك نتيجة لمنافستهم الغير الشريفة لأسرته فكان له نظم قصيدة في ستة وعشرون بيتا يعرض فيها بحضر قسنطينة وأعيانها وختم القصيدة بالدعاء عليهم كالتالي:

هم القول الأراذل قد تسموا بجنس في الخليقة لا يشارك
وقالو نحن أحضار بدار نعم صدقوا ولكن في المهالك
...وقلربي عليك بهم وخذهم ومثواهم يكون بدار مالك
...وخذ ممن أذى وتعدى حقا وأحلل فيه بلوى من سمائك

ويبدي الفكون في كتابه "محدد السنان" في نحور إخوان الدخان استياء كبيرا من طبائع الحضر[1]. وماهم عليه من الصفات التي يأبها الشرع منها منابذة العلم وأهله ومعاداتهم واستهزائهم بهم واتكالهم على شرف آبائهم، وماهم عليه من رياسة ورمقتهم أعين العامة بها وخدمتهم لأجلها، وقد وصل الحد بمعادات العلماء إلى الوشي بهم إلى الأمراء والوعد بالأذى في النفس والمال، وهو ما كان سببا في هجرة هؤلاء العلماء ومن أوصاف الحضر أيضا ما هم عليه من الحسد والبغضاء وهتك أعراض المسلمين وعدم الوفاء بالعهد.[2]

هاجم الفكون البدع واعتبرها من سيئات عصره، واعتبر المبتدعة ضالين مضلين وهم الذين عرفوبإنحرافهم عن أتباع الشرع، ويتبعون آساليبهم في الوصول إلى أهدافهم الدنوية العاجلة وعدم اللجوء إلى الدين والذي أصبح عندهم غريبا، نجد أن الفكون قد اتخذ من قلمه وحبره وسيلة لإرهاقهم ولا كلمة ردع ونصح إلا وقالها لهم بل إنه التجأ أيضا إلى الله يطلبه في تسليط أقسى العذاب على هؤلاء في الدنيا قبل الآخرة وقد جمع في ذلك بين منحرفة من بينهم قاسم أم هاني وأحمد المغربي.

[1] فوزية لزغم، المرجع السابق، ص578

[2] حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره، المرجع السابق، ص116

أ/ قاسم بن أم هاني

عرف عن هذا الرجل عظم فساده وشهرة بدعته وقوتها ولكن كان هذا الرجل في بداية أمره ذا سمعة حسنة يواظب على صلاته وصومه وحتى لباسه متواضع فيه فأصبحت قلوب الناس تميل إليه والآذان تصغى له فبعد وقوع ثورة والده نواحي نقاوس، والذي عرف بتعامله مع اللصوص ضد الرعايا سقطوا وانفضحوا في أعين الخاص والعام، ثم عزم قاسم وكثرت مخالطته برعايا هؤلاء يروجون أمره للصوص، ليردعهم بأقاويل ينسبونهاله وبذلك يبعدون اللصوص عنهم وعن أموالهم وأهاليهم وهو تمسك بالله و بطريق الأعدل. فيبري العاهات أمام أعين الرئيس ويعجبه قوله ويرضاه، أما بخصوص قبائح القاسم فهي أحقر من أن تسطر ومنها أنه إذا سمع بأن عند أحد من أهل رعاياه فرس وتعجبه يذهب إليه، ويقول له أنه له ذلك الشيء وإياك وبيعه، ويجعل ذلك الشخص يقدمه له بالمجان وإما بثمن بخس، وإذا رفض يتوعده بنكبة أو مصبية تناله في النفس أو يقوم اللصوص بأخذ ماله ومعاقبة من حيث لا يشعر، فهذا الخبيث حسب عبد الكريم الفكون جمع بين السعاية والزندقة المحرمات وأخذ بها إثم من عند المولى عز وجل[1]

ب/ أحمد الغربي

هو أبو العباس المدعو أحميدة بن حسن الغربي، حفيد القاضي أحمد الغربي كان في البداية محبوب وعرف بنجابته في أحوال الدنيا، وطلب رياستها تولى النيابة عن قضاة العجم، كما سجن وأغرم مرات، واشتكت منه العامة، وكان يتوسط للولاة على حساب الرعايا، تولى الفتوى في زمن أبي زكريا ابن محجوبة، وهو أمي الخطاب والكتابة لا يعرف طريق الخط ولا يحسن الرسم، فقبل تعيينه وكان يتمنى أن يكون صاحب الأمر لصلح ما أفسد من سبقه ولما أصبح فيه ما وعد وأعطى الأذن الصماء تزوج الفكون من

[1] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص ص119-121

ابنته وبقيت معه ما يقارب ثلاث سنين وفارقها، فكانت نهاية الغربي أنه اشتكت به العامة من الناس بسبب دخوله في أمور تخصهم، أي الرعايا والأجناد وتوسطه مع الولاة واعراب المدينة ولم يمكث إلا قليلا بعد ذلك توفي بداره بالرغم أن الجميع كانوا يرون أن موته ستكون في أسوأ حال وثبت بكلمة الشهادتين قبل موته[1].

وتأسف الفكون على هبوط حالة العلم في بلاده و في عصره ، و اكتفاء الناس بالقليل منه ، بل لقد عم الجهل في نظره ، و عزف الناس عن المعرفة و البحث و التلقي ، و قنعوا بالخرافة و البدعة و استخدام الروحانيات و السحر و خطوط الرمل وقد عاب الفكون على قومه ذلك ، ونادى بنبذ الخرافة و البدعة، كما نادى بالدعوة إلى السنة والعمل بالعلم و تحكيم العقل و اليقظة لمعرفة الدين و حاجات الدنيا ، و قد علق الفكون على قول المكودي في أرجوزته :

هذا مع الجهل و شغل البال و الاضطرار و اضطراب الحال .

قائلاً: [2]" إذا كان هذا في زمنه و منار العلم منصوب ، و عن أراء الجاهلين برشق نبال البراهين محجوب ، فكيف بزماننا الذي فاض فيه عباد الجهل والدعوة ، وطلعت كواكب البدع و الأهواء (كذا) فلا ترك إلا مدعيًا في العلم أعلى منصته ، و مرتقيا في شامخ التربية أرفع قنته، جعلوا الطريقتين شباك لتحصيل الدنيا منصوبة ، و حبالات لجمعها بأوتاد حبها مضروبة، و ما نظروا إلى عاقبة الأمر عقابه ، و الوقوف بين يدى العالم بالخافيات ودقة حسابه " .

ويقول متأسفًا عما كان يشاهده في مدينة قسنطينة " عقول سخيفة تتوسم في مثل هؤلاء الولاية و تنسبهم إلى أهل المدينة " فقد أورد كلام ابن العربي من " أن العلم ليس

[1]نفسه، ص76 .

[2]أبو القاسم سعد الله , شيخ الإسلام ، المرج السابق ، ص 134

بكثرة الرواية و إنما هو ما يحضره عند الحاجة إليه في الفتوى من الدراية ، و أن السرد للمعلومات إنما يحدث عند فساد القلوب بطلب الظهور و التعالي عن الأقران و كثرة الرياء في الأعمال " ، و علق الفكون على كلام ابن العربي بأنه يعبر عن صفة الحال في قسنطينة و غيرها ، فلا ترى إلا من يقول قال فلان ، قال فلان ، أو يذكر نص التأليف بدون تغيير ، فإن صادف الحكم نجا و إلا أصبح كالصيد في الشبكة ونعى على علماء و قته أنهم كانوا يفعلون ذلك حبًا للمدح و صرف قلوب الخاصة و العامة إليه و لو سئل أحد هؤلاء العلماء عن الجمع بين المتشابهين أو الفرق بين المسألتين يقول النص هكذا و يستظهر حفظ النصوص ، و هل هذا إلا جمود في غاية الجمود [1].

إن التنافس بين أصحاب المهنة الواحدة أمر طبيعي ، و نكاد نقول أمر ضروري ولكن هناك فرق بين التنافس الخلاق و التنافس الهدام ، وقد كان التنافس بين علماء الجزائر خلال العهد العثماني في أغلبيته من النوع الثاني .

كان مجال عمل العلماء محدودًا جدًا جاء من الوظائف شملت الإفتاء و القضاء والخطابة و الإمامة و التعليم ، وبدلاً من أن يبحث العلماء عن مجالات أخرى للعمل ويتفوق على بعضهم في إتقان المهنة و التقدم فيها دخلوا في حرب فيما بينهم للظفر بما كان موجودًا فقط ، و كان لهذه الحرب الداخلية ضحايا بينهم ، و كان سلاحهم فيها ليس العلم و الأخلاق و الكفاءة ، و لكن الجهل و الضعف ، ولهذا شاع بينهم نتيجة ذلك السجن و التغريم و العزل و حتى الاعدام و مصادرة الأموال و كل ذلك من أجل الوظيفة.

[1] أبو القاسم سعد الله ,تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص 452.

ظهر التنافس في شكلين الفردي و العائلي ، و التنافس الأول أقل ضررًا من الثاني لأنه كان ينتهي بانتهاء المتنافسين بالعزل أو الموت، أما التنافس العائلي فهو طويل المدى،وقد يستغرق أجيالاً، وقد يؤدي إلى التناحر الشديد [1] .

و من التنافس العائلي نجد أسرة ابن عبد المؤمن تنافس أسرة الفكون في قسنطينة ، وقد انتهى الأمر بتغلب العثمانيين الثانية على الأولى وبذلك أصبح الفكون و شيخ المدينة وأمير لركب الحج .

أما التنافس الفردي ، فقد ذكر الفكون في منشور الهداية عدة حالات من تنافس العلماء على مناصب علمية مختلفة ، ومن ذلك تنافس محمد بن نعمون مع أحمد بن باديس على الرياسة وأحوال الدنيا ، وبلغ به الأمر أن سعى ابن نعمون و جماعته بابن باديس إلى باشوات الجزائر ، وكتبوا سجلات ، ووصفوه بأمور لا يحل الوصف بها و لاالخوض فيها ، إلى أن أجبروه على التوجه إلى العاصمة شخصيا ، حيث غرّمه الباشا وسجنه، وقد انتهى الصراع بعودة ابن باديس إلى الافتاء و استقلاله به [2] .

و من أمثلة التنافس حول القضاء، ما ذكره الفكون من أن أبا زكرياء يحي بن محمد بن محجوبة حاز الفتوى في عصره ، و أنه تولى القضاء ، و نازع فيه القاضي الكماد وظهر عليه في أخر عمره [3].

ووظفه نيابة القضاء رغم أنها ليست من الوظائف العليا ، إلا أنه حصل من أجلها تنافس بين العلماء ، و من ذلك ما ذكره الفكون بشأن عبد اللطيف بن عبد الكريم بن القاضي بركات بن سعيد الذي كان مضادًا لأحمد الغربي " بعد

[1] نفسه ، ص 402.

[2] فوزية لزغم ، المرجع السابق ، ص 569.

[3] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 63.

أن كانت بينهما مصادقة صغر و أخوته أعقبها ذلك بعد الكبر و التنافس في ولاية حيث قال متعصب النيابة والهجران و القطيع ... وكانت بينهما فتن عظيمة و انحاز كل منهما إلى والي من الولاية يعتضد به على صاحب ، فكلما أقبلت دولة أحدهما أدبرت دولة الأخر و كل منهما له أعوان و انصار من الخاص و العام ، و لم تنتهي الفتنة بينهما إلا بعد ان ترقى أحمد الغربي لخطة الفتوى و طابت لعبد اللطيف بركات خطة النيابة فوقعت بينهما ألفة في الظاهر وفي الباطن مختلفان " [1].

و يبدو أن هذا الإلحاح في التنافس يعود إلى هبوط أخلاق العلماء بصفة عامة فقد شاعت بينهما الرشوة و الطمع و الجهل و التساهل في أمور الدين ومنح إلا جازات بسهولة و التعدي على الأوقاف .

وتتحدث الوثائق كثيرة عن شيوع الرشوة بينهما أخذًا وعطاء ، فهذا الفكون يقول عن محمد المسبح أنه أعطى للظفر بخطة نيابة القضاء مالا لقضاة العجم حتى و لوه إياها ، و حكى أنه اشتهر بشهادة الزور أيضا،و وصف الفكون أبا عمران موسى الملقب بالفكيرين، أنه كان مطلق اليد يأخذ طعامًا وعينًا من البدو، و نجد أيضا أحمد بن حسن الغربي كان يخدم الولاة بقسنطينة و يعظمهم و يمتهن نفسه و يعطيهم الرشا ، و كان يتوسط الولاة في ذلك لدى أهل البلد و الرعية ، و ينال بذلك حظا ومن أجل ذلك و لوه وظيفة نيابة القضاء .

وكان بعضهم لا يتوزع عن آكل الحرام ، فقد قيل أن ابن نعمون قد تصرف في أكثر من خمسة و ثلاثين و فقًا ، بما في ذلك أو قاف المدينة المنورة ، كما فعل غيره مثله

[1] نفسه، ص 79.

أيضا [1]و قد جرى ذلك كله مع التساهل في العلم و في قضايا الدين أيضا ، فقد عرفنا بعض الأئمة كانوا لا يحسنون قراءة خطبهم المكتوبة و كان أخرون لا يبينون إذا تكلموا وأخرون لا يحسنون حتى اصلاح صلاتهم و لا رسم الكتابة حسب رواية الفكون أمثال : محمد المسبح كان عامي القلم و الفكر لا يعرف ما يصلح به و ضوءه و صلاته " [2] وأحمد غربي " كان أمي الخطاب و الكتابة ، لا يعرف طريق الخط و لا يحس الرسم،غير عارف بالهجاء ، حتى إن في غالب أحواله يتفقد من يجالسه من أحبائه مكاتبه ليصلح ما فيها من فساد الرسم " [3] .

و كان شرب الخمر و سماع الموسيقى و تعاطي الربا و تناول الحشيش و الخنا أمورًا شائعة أيضًا عند بعض العلماء ، و أطلق عليهم الفكون جماعة الشرب في زعافهم وآلات طربهم ولهوهم [4] .

في القرن 16 م انتشرت ظاهرة التدخين بشكل رهيب في المجتمع الجزائري أدت إلى نشوب خلافات كبار العلماء و قادة الحركات الصوفية حول حكم تحريمه ، فقد أودت إلى حدوث انشقاقات حادة بينهم ، وأسفرت عن بروز حركة تأليفية واسعة حول هذه الظاهرة،وتعددت المصنفات الفقهية حول هذا الشأن ، إذ كتب عنه محمد بن سليمان صاحب " كعبة الطائفين " ، و عبد القادر الراشد لي في " تحفة الإخوان في تحريم الدخان " وعبد الكريم الفكون في " محدد السنان في نحور إخوان الدخان " [5]

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 403.

[2] عبد الكريم الفكون ، المصدر السابق ، ص 90.

[3] نفسه ، ص 75.

[4] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 404.

[5]فاطمة زهراء طوبال ، ظاهرة التدخين في الكتابة التاريخية في العهد العثماني مخطوط " محدد السنان " لابن الفكون أنموذجًا ، مجلة الراصد العلمي ، ع 5 ، مالي 2018 ، ص 85.

يتناول الفكون هذه الظاهرة الإجتماعية الغريبة بقوله : " فقد هدمت بليه (التدخين) وقعت في البلاد ، و سرك سمها في الحاضر و الباد ...و توارثته عن سفلتها الأشرار وتدرع لارتكابها بأكابر الأعمار بما توهموا الإباحة انهالا تعمى الأبصار ، ولم يزل في قلبي منها نكد ، و أشهر الإنكار على الأب و الولد ..." [1] .

ذكر الفكون سبب تأليف كتابه الذي جاء لدحض أدلة العلماء الذين أحلو هذه الآفة خاصة تلك الفتاوى التي ظهرت بمصر و التي أجازت شرب هذه المادة لقوله : " سئل الأجهوري من علماء المالكية بالقاهرة المحمية من علماء العصر عن حكم الدخان فأجاب الدخان المذكور ليس مسكر قطعا ، لأن المسكر ما غيب العقل دون الحواس مع نشوة و طرب " [2] ولا يكتفي الفكون بعرض هذه الفتوى بل يأخذ نها موقفًا معارضًا ويرفض ما ذهب إليه العالم المصري الآجهوري مبينًا بحجج و الراهين حرمتها و مضارها و يرى الفكون أن تحريم الدخان من ثلاث أوجه أما الوجه الأول فهو تحريمه من حيث ذاته فالدخان خبيث الرائحة و كل ما هو خبيث الرائحة طلب إجتابه ، أما من حيث صفته و تتعلق بالأضرار و منها تغييب العقل و الإسكار و مسبب للاستبداد، مجاري النسيم و ثقيل اللسان عن النطق بالشهادة اما من حيث عوارضه و من ذلك أنه ذريعة إلى الغيبية و النميمة عند الاجتماع لذا و جب تركه كما أنه و سيلة للمزاح و الجداول وهما محرمتان لما يؤدي إلى البغضاء و المشاجرة و المشاحنة [3]

عرض الفكون للقضايا المعاصرة أورثته خصومه أهل العصر طبعًا ، فكلامه لا يرضي الولاة و لا يرضي أنصاف العلماء و لا أدعياء المتصوفة و لا آعيان البلاد فلا غرابة أن يقول عن ردود فعلهم جميعًا عندما آلف كتابه منشور الهداية : " و هو و إن

[1] فوزية لزغم ، المرجع السابق ، ص 158.

[2] محمد بن عبد الكريم الفكون،نوزال قسنطينة ، تح وتق ,هواري تواتي و عائشة بلعابيد ، دار الزيتون ، 2018 ، ص 705.

[3] حسين بوخلوة ، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته و آثاره ، المرجع السابق ، ص 113-115.

رمقتني من آجله العيون ، و انعقدت على بغضي القلوب و أكثرت الشؤون فذاك و لله الحمد ، مما يسرني في الحال و المال ، ويقوي رجائي أن يكون لي عدة في عظيم الأهوال ،لوعد رب العالمين ، و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سلبنا " .

وهو هنا لا يحدد نوع الخصوم ، و لكن يظهر لنا أنهم هم الذين شنع عليهم في أفعالهم الصوفية و الدنيوية و هم الذين يسميهم حزب الشيطان ، و هم أيضا جماعات النوادي التي كانت مراكز للمفاسد و المتلصصة و الحرابة الذين كانوا يعيشون في ظلام الريف ، و في غفلة أو تغافل من السلطة ، و من خصومه نذكر : محمد بن نعمون،أحمد الميلي ، أحمد الفاسي [1].

فيذكر الفكون أنه و قعت بينه و بين محمد بن نعمون أمور جعلت الأول يشعر بالضيق منه، حتى التجأ إلى الله في الدعاء عليه بأخذه أخذ غزيز مقتدر ، فقال عنه : " كان يترصد لي في كل حالاتي الدوائي ، ما يرجع عقباها عليه و يجتمع نكالها في الدنيا و الأخرة لديه ، غير أني أعطيته الأذن الصماء ، وأكله إلى القادر الجبار القائم بالأرض و السماء ، و أرجو منه أن يهدم منارة ، ويطمس آثاره ، ويخرب داره و قراره ،بجاهه العظيم و قدر نبيه الكريم و أصحابه و أوليائه و أنصاره " [2].

وابن نعمون هذا هو الذي قال فيه : " لوكان في زمن محتسب الله لكان له معه شأن وأي شأن " أما أحمد الميلي فقد خاصمه الان والدالفكون كان قد قدم الميلي للصلاة نيابة عنه ,وعندما بلغ الفكون الابن سن الرشد قدمه والده للصلاة نيابة عنه بدل أحمد الميلي فغضب هذا لأنه حرم مالاً وقيمة ، وظل يخاصم الفكون الابن حتى نبغ هذا في العلم و

[1] أبو القاسم سعد الله ، شيخ الإسلام ، المرجع السابق ، ص 136.

[2] عبد الكريم الفكون,المصدر السابق ، ص 86.

نضج جسمه و عقله واعترف له بذلك كما يقول الفكون : " فكان من لطف الله و رعايته أن لم يمت حتى جثابين يدلي جثو الصبي للمعلم " [1] .

و إلى أحمد الفاسي هجا الفكون بالشعر وباللسان و تقول عليه الأقاويل وانضم إلى خصومه الذين يسميهم الفكون " الأشرار " و "جماعة نادي الشرب " أولئك الذين رمقوه كلهم بعين البغضاء ، مع ما انطوت عليه بواطنهم من الحقد علي ، و التعرض لأذيتي بما أمكنهم و لم يمكنهم إلا بأن هجا أي الفاسي لأهل مجلسه و قد فكر الفكون في الرد على الفاسي بهجاء مثل هجائه و لكن منعه كما قال ، مانع الدنيا و التقوى ومن ثم يظهر أن حياة الفكون لم تكن كلها رضا وسعادة ، فقد كان يتعرض للأذى و النقد والكيد والهجاء من خصوم كثيرين ، وعلى رأسهم دعاة الفساد الاجتماعي و الصائدون في الماء العكر الحضر، والعلماء، والدراويش، والولاة [2].

[1] نفسه، ص 95.

[2] أبو القاسم سعد الله ، شيخ الاسلام ، المرجع السابق ، ص 138.

خاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع، توصلنا إلى جملة نتائج، نعرضها كالآتي:

* لقد أسهمت عوامل متعددة، ومؤثرات متنوعة في بناء شخصية عبد الكريم الفكون، وصقل مواهبه فزيادة على انتمائه إلى قسنطينة بوصفها واحدة من أهم الحواضر في الجزائر، لعبت عراقة العائلة وطابعها العلمي والديني، فضلا عن استعدادات الرجل الذاتية، دورا رئيسيا في نبوغه، وتمّيزه قياسا إلى أقرانه ومعاصريه من علماء العصر.

* أن عصر الفكون، لم يكن فترة رخاء واستقرار، فقد عرف الكثير من الاضطرابات والثورات، التي هددت في العمق الوجود العثماني، وكادت تقضي عليه، وقد كان أخطرها ثورة ابن الصخري، وأولاد عبد المؤمن، وقد لعبت عائلة المترجم له دورا رياديا في تحقيق الأمن، ومساعدة السلطة العثمانية على بسط نفوذها، بما حازته من مكانة اجتماعية، وما حققته من امتيازات، كالإشراف على الأوقاف والمساجد، وحيازة مناصب في غاية الأهمية، كالقضاء، والإمامة، وقيادة ركب الحج.

* امتازت الحياة الثقافية عموما بالازدهار، حيث شهدت قسنطينة نهضة علمية وفكرية، كان من تجلياتها، انتشار المراكز العلمية من مساجد، ومدارس، وزوايا، ووجود حركية لافتة للتواصل بين العلماء، مما انعكس على نشاط التأليف والإنتاج العلمي.

* عكست مؤلفات الفكون بمضامينها المتنوعة، الواقع المحلي القسنطيني، والإقليمي ببايلك الشرق، من حيث طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة، ومراكز القوى والنفوذ، وأبانت عن روح نقدية جديدة، ثائرة على الدجل والشعوذة، داعية إلى إعمال العقل، والتخلص من التصوف الزائف، بما يسهم في كسر جدار التخلف.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

سورة آل عمران، الآية 97

سورة الأعراف، الآية 31

سورة التوبة، الآية 18

أولا:المصادر

1. ابن العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهمعلى أوطانها أو تاريخ قسنطينة، تق وتع، بوعزيز يحي، طبعة خاصة عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
2. ابن عطار أحمد بن المبارك، تاريخ بلد قسنطينة (1790-1870م) تح، حمادي عبد الله، دار الفائز، قسنطينة، 2011.
3. ابن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،تق وتح، عبد الكريم محمد، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981.
4. البوني أحمد بن قاسم، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تح وتق، سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007.
5. الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، طبقة فونتانة الشرقية، الجزائر 1906.
6. الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ط1، تح وتق، بوعبدلي المهدي، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

7. الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تق سعد الله أبو القاسم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.
8. الفكون محمد بن عبد الكريم، نوازل قسنطينة، تح وتق، تواتي هواري وبلعابيد عائشة،دار الزيتون،د.م، 2018.
9. المقري أبي العباس أحمد، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تح، محمد بن معمر،مكتبة الرشاد للطباعة، الجزائر، 2004.
10. الوزان حسن بن محمد، وصف إفريقيا، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان،1982.
11. سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تع وتق، عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2006.
12. شلوصرفندلين، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837م) تر وتق، دودو أبو العيد، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
13. مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية،القاهرة، 1349هـ.

ثانيا:المراجع

1.أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830،1855، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1975.

2.الجميعي عبد المنعم إبراهيم، الدولة العثمانية والمغرب العربي، دار الفكر العربي القاهرة، 2007.

3.ألتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر، محمود علي عامر ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

4.بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1997.

5.بونابي طاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجريين و12 و13 الميلاديين، دار الهدى، الجزائر، 2004.

6.الحسين عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليلي القاسمي، الجزائر، 2005.

7.دحدوح عبد القادر، تاريخ وآثار مدينة قسنطينة خلال الفترة الإسلامية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015.

8.الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني الشركة الوطنية للنشروالتوزيع، الجزائر، 1972.

9.سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.

10.سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

11.عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514- 1830م) دار هومة، الجزائر 2012.

12.عبد القادر نورالدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2006.

13.عثمان محمد، مدينة قسنطينة ملكة الشرق الجزائري ومدينة الجسور المعلقة، ط1 دار المصرية للكتاب، القاهرة، 2013.

14.غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2012.

15.فيلالي عبد العزيز، مجمل تاريخ قسنطينة السياسي العمراني الثقافي والاقتصادي دار الهدى، عين ميلة، الجزائر،2007.

16.معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن (10هـ/ 16م) إلى (13هـ/ 19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة قسنطينة 2، 2015.

17.هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر 2008.

ثالثا: المذكرات والرسائل الجامعية

1. بلخوص دراجي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل الفكون خلال القرنين 16 و17م، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2012، 2013.
2. بوجلال نصيرة، البيوتات العلمية في قسنطينة ما بين القرنين 7 و10هـ/ 13 و16م مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة 8ماي 1945، قالمة 2017-2018.
3. بوخلوة حسين، عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته وآثاره (988هـ 1073/ 1580 1663م)، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية،جامعة السانية، وهران، 2008- 2009.
4. حبيري إيمان وبوباسي مريم، واقع الحياة الاجتماعية في بايلك الشرق في ظل حكومة الداي حسين، مذكرة ماستر في التاريخ، قسم التاريخ والآثار، جامعة 8ماي 1945،قالمة، 2015- 2016.

5. سعودي يمينة، الحياة الأدبية في مدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير في الأدب، قسم اللغة العربية، جامعة منتوري قسنطينة، 2005- 2006.
6. فار لطيفة وولابي نور الهدى، الشيخ عبد الكريم الفكون ودوره في الحركة العلمية (988هـ 1073هـ/ 1580-1663م)، مذكرة ماستر في التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حمة لخضر الوادي، 2016-2017.
7. قمرة السعدية، الأسر النافذة ودورها الثقافي والاجتماعي ببايلك قسنطينة الشرق الجزائري في العهد العثماني (1518- 1830م) " أسرتي الفكون والمقراني أنموذجا" مذكرة ماستر في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة 2017-2018.
8. لزغم فوزية، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ/1520- 1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2013- 2014.

رابعا: المقالات العلمية

1. المشهداني فريد محمد وسلون راشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518، 1830، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج5، ع16 جامعة تكريت، 2013.
2. بوداود عبيد، تجربة عبد الكريم الفكون في التأريخ والترجمة من خلال مؤلفه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، مجلة الحضارة الإسلامية ع12،جامعة وهران، 2005.
3. بوشريط أمحمد، ابن الفكون وإسهاماته في التأليف: منشور الهداية أنموذجا، مجلة عصور الجديدة، ع18، جامعة وهران، 2005.

4. بوخلوة حسين، الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني وإنتاجه الفكري (988- 1073هـ/ 1580- 1663م)، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع9 جامعة ابن خلدون، تيارت، جوان 2016.ساري مسعود، صورة السلطان العثماني في الأدب الجزائري القديم، مجلة مقاليد ع7، المركز الجامعي بميلة، الجزائر، ديسمبر 2014.
5. سعيدوني ناصر الدين، مذكرة حول إقليم قسنطينة، مجلة الأصالة، ع70-71 وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، الجزائر، 1979.
6. ساري مسعود، صورة السلطان العثماني في الأدب الجزائري القديم، مجلة مقاليد ع7،المركز الجامعي بميلة، الجزائر، ديسمبر 2014.
7. طوبال فاطمة الزهراء، ظاهرة التدخين في الكتابة التاريخية في العهد العثماني مخطوط "محدد السنان" لابن الفكون أنموذجا، مجلة الراصد العلمي، ع5 ماي2018.
8. قشي فاطمة الزهراء، معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة انسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ع19-20، وهران، جانفي- جوان 2003.

خامسا: المعاجم والقواميس

1. كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ج2، ط1 مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993.
2. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ط2،مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
شكر و امتنان	
إهداء	
مقدمة	7-2
الفصل الأول :قسنطينة عصر الفكون	
المبحث الأول: الأوضاع السياسية	15-9
المبحث الثاني : البيئة الاجتماعية	20-15
المبحث الثالث : الواقع الثقافي	27-20
الفصل الثاني : الفكون : الإنسان و العالم	
المبحث الأول : مولده ونشأته	33-29
المبحث الثاني: مؤثرات في تكوين شخصيته	35-33
المبحث الثالث : إنتاجه الفكري وتواصله العلمي	46-36
الفصل الثالث : مواقفه من قضايا عصره	
المبحث الأول : موقفه من التصوف و الطرقية	53-48
المبحث الثاني : الفكون و المسائل السياسية	62-54
المبحث الثالث : أراؤه في القضايا الاجتماعية	73-62
خاتمة	75
قائمة المصادر و المراجع	82-77
فهرس الموضوعات	84